مكتبة المحبة

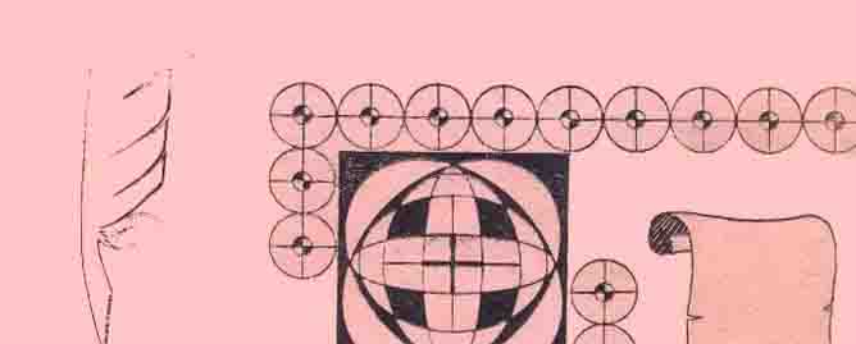

أحراك الآباء عن:

حياة الصلاة

إعداد: القمص ويصا السرياني

مكتبة المحبة

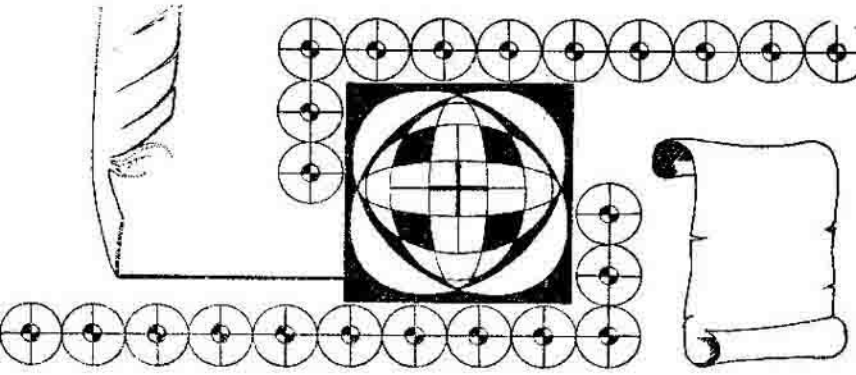

أحزان الآباء عن:

حياة الأبرار

إعداد: القمص وسا السرياني

قداسة البابا المعظم

الانبا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

... وايضا يأتى فى مجده ليدين الاحياء والاموات ، الذى ليس لملكه انقضـــاء ... وننتظر قيامة الاموات ، وحياة الدهر الآتى . آمين .

هذه هى الفقرات الاخـــيرة من قانون الايمان المسيحى الارثوذكسى . انها عقيـدة أساسية للغاية لأنه مهما ارتفع الانسان فى حياته الروحية ، وترك حجارة هـــذا الاساس هشة مفككة ... سرعان ما ينهار البناء كله . فايماننا بحياة الدهر الآتى هو الاساس الصخرى المتين الذى يشيد عليـه كل الايمان المسيحى .

يقـــول معلمنا بولس الرسول : « ان كان لنا فى هـذه الحياة فقط رجـاء فى المسـيح فاننا اشقى جميع الناس » (١ كو ١٥ : ١٩) وربنا يسوع المسيح ايام تجسده ، كرز لنا مرارا وتكرارا ببشارة الحياة الابدية . لأنه ما قيمة عمل الكفارة والفداء على الصليب ان كان الموت يلاشى وجودنا ؟ وما اهمية عمـل الروح القدس ان كان لا يؤهلنا الى خلود ســماوى ؟

ان الكنيسة فى كل عباداتها ، تنتقل بأولادها الى حـالة من الاشتياق والتطلع لحياة الدهر الآتى ... **ففى القداس الالهى** : قبل الصلاة السرية لحلول الروح القدس ، يقـول الكاهن : ففيما نحن ايضا نصنع ذكرى آلامه المقدسة ... وظهوره الثانى الآتى من السموات المخوف المملوء مجدا ..

وفى كل قداس نذكر القديسين الذين كملوا فى الايمان فى صلاة المجمع ، ونختمه بصلاة : اولئك يا رب الذين اخذت نفوسهم نيحهم فى فردوس النعيم ، فى كورة الاحياء الى الابد ، فى اورشليم السمائية فى ذلك الموضع ..

وفى قداس عيد القيامة : يجرى طقس القيامة على النحو المعروف الذى فيه **افتحوا ايها الرؤساء** ابوابكم وارتفعى ايتها الابواب الدهرية فيدخل ملك المجد ... وهكذا يفرح المؤمنون بنصرة ربنا يسوع المسيح على ابواب الجحيم ، ورده للنفوس التى كانت مسبية فيه الى حياة الدهر الآتى .

وفى **تقديسنا ليوم الاحد على مدار السنة** ، تبتهج قلوبنا بفرحة غلبتنا للموت بالمسيح يسوع ربنا .

وعند اقتراب نهاية السنة القبطية ، تقرا الكنيسة على مسامع اولادها علامات نهاية الازمنة من انجيل معلمنا متى البشير ، الاصحاح الرابع والعشرون .

اما التسبحة اليومية ، فيلذ للكنيسة ان تختمها بترنيمة مجيئية وهى :

يا ربنا يسوع المسيح حامل خطيئة العالم
احسبنا مع خرافك الذين عن يمينك
اذا اتيت فى ظهورك الثانى المخوف
فلا نسمع برعدة انتى لست اعرفكم
بل فلنستحق سماع ذلك الصوت الممتلىء فرحا
الذى لرافتك يصرخ قائلا
تعالوا الى يا مباركى ابى
رثوا الحياة الدائمة الى الابد

أما صلوات الاجبيـــة اليوميـــة : فاننى أحتـــاج الى صفحات طويلة لانقل كل ما ذكرته الاجبية فى المقدمات ، والقطع والتحاليل ، والمزامير ، والاناجيل عن حياة الدهـــر الآتى ـ فصلاة النوم والستار ونصف الليل كلها تقريبا تدور حول صلوات تعبدية عن الحيـــاة الدهرية الآتية . فمثـــلا يقول الكهنة فى تحليل نصف الليل :

... اللهم اعنا على رضاك اعنا على العمل بوصاياك ، اعنا على ســـكرات الموت ، وما قبل الموت ، وما بعد الموت .

وتظل هـــذه النغمة المجيئية هى الاولى فى تســـابيح الكنيسة وصلواتها وتقديساتها ، تعيش متشـــوقة لمجيء عريسها اليها ، وتنهدات اشواقها القلبية ليلا ونهارا هى : آمين تعال ايها الرب يســـوع (**رؤ ٢٢ : ٢٠**)

وعلى قدر ما ترى اليوم يقترب ، لا تفتر ان تعظ أولادها (**عب ١٠ : ٢٥**) أن يجاهدوا ، معلمة اياهـــم ان يكونوا راسخين غير متزعزعين ، مكثرين فى عمل الرب كل حين ، عالمين ان تعبكم ليس باطلا فى الرب (**١ كو ١٥ : ٥٨**)

ومن ناحية اخرى ، نجد الذين ينكرون عقيـــدة الدهر الآتى ، بفكرهم المادى ومنطقهم البشرى ، حينما يرون العظام اليابســـة ، والاجساد المتحللة فى القبـــور ، يثيرون الف سؤال عن القيامة وعن حيـــاة الدهـــر الآتى ، واذ هـــم لا يريدون ان يقتنعوا ، ينغمســـون فى الدنيويات قائلين : لنأكل ونشرب لاننا غدا نموت .

ولكن ما لم يملأ الايمان قلوبنا بيقينية حيـــاة الدهر الآتى ، نـــكون قد آمنا عبثا .. وتكون ماديين عالميين ، نعيش للارض وليس للســـماء .

ان قـوة هذه العقيدة آتية من ان الله بنفسه هو الذى أعلنها لنا فى كتابه المقدس ... وما أجمل ان يتعامل الانسان مـع الله كطفل صغير جدا مع ابيـه الحنـون الغنى القادر على كل شىء ...

- بروح تسليم مطلق لمشيئته ، فحكمته الالهيـة تفوق حكمتنا بمراحل .

- وبروح محبة طفولية بريئة ، محبة شديدة نحو أبوته الحانية .

- وبروح ايمان وثقـة لا تتزعزع بأنه يعمـل لصالحنا باستمرار .

والواقع ان الكتاب المقدس ، وكتابات آباء الكنيسة الملهمين من الله ، قـد تحدثت عن هذا الموضوع كثيرا جدا ، لذلك رأيت أن أبدأ الكتاب بموجز سريع عن معظم الاراء الابائيـة التى دارت حول هـذا الموضوع ، لا سيما آباء ما قبل مجمع نيقية حتى سـنة ٣٢٥ م .

+ ثـم مختارات من نبـوة عزرا النبى عن « سر المصير البشرى » .

+ ثم نصائح روحية من الآب يوحنا كرونستادت ، للدخول الى راحة الله .

+ ثـم مقالة للقديس كبريانوس عن ان المسيحى الحق ، لا يخاف الموت .

+ وأخيرا مقالة عن نصيحة ربنا يسوع المسـيح لنا عند اقتراب نهاية الازمنة « بصبركم تقتنون انفسكم » للعلامة ترتليانوس .

ارجو من الله أن يجعل هـذا الكتاب جرعة آبائية حيـة محيية ويـكون اداة لرسوخنا فى ايمان آبائنا ، واستعدادنا للاقاة المسيح الحبيب فى مجيئة الثانى ...

وسـلاما وبنيانا لكنيسة الله المقدسة الجامعة الرسولية .

آمـين

اغسطس ١٩٧٦ القمص

نهاية السنة القبطية ١٦٩٢ ويصـا السريانى

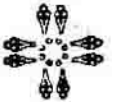

ملخص فكر الاباء
عن
حياة الدهر الآتى (*)

ان الديانة المسيحية ـ والحياة البشرية بمشاكلها العديدة ، واسرارها الغامضة ـ ليس لها أى معنى بدون يقينية حياة مستقبلة للثواب او العقاب . حيث تكون حياتنا الحاضرة كمدرسة تحضرية بالنسبة لحياة الدهر الآتى .

قال يسوع : « أنا هو القيامة والحياة » وقد وعد بحياة ابدية لكل من يؤمن به . وهكذا اصبحت القيامة هى حجر الزاوية فى بناء الكنيسة ، وبدون قيامة ما كان للكنيسة ان تظهر فى الوجود .

كل انسان يتعمد فى الكنيسة ، عليه اولا أن يقر ويعترف بعقيدة قيامة الاجساد وحياة الدهر الآتى التى بلا نهاية

(*) لما كانت أفكار الآباء كثيرة ومتنوعة ، وأقوالهم عديدة وغنية حول موضوع « عقيدة الدهر الاتى » لذلك استعنت بأكثر من ١٥ مرجعاً لتلخيص آرائهم ، ولكنى استعنت أساساً بالجزء الثانى من كتاب تاريخ الكنيسة المسيحية لفيليب شاف .

كايمان له . (أنظر طقس جحد الشيطان ، والاعتراف بالمسيح فى سر المعمودية المقدس) .

ان حياة الدهر الآتى غريزة فطرية فى الانسان المسيحى ، وهى أول ما يحس به الضمير المسيحى ، حتى بدون اقناعات لاهوتية استنتاجية . وهى معين لا ينضب من القوة والشجاعة والتعزية فى اوقات الاضطهادات والآلام .

وترتبط عقيدة حياة الدهر الآتى ارتباطا وثيقا بتوقع ظهور الرب ثانية فى مجده . انه موضوع اول ما كتب فى العهد الجديد من أسفار ـ أى رسالة بولس الرسول الاولى الى اهل تسالونيكى ...

وبهذه العقيدة ، عاشت الكنيسة فى عصرها ما قبل مجمع نيقية المسكونى (سنة ٣٢٥ م) كغريبة وسط عالم صاخب تائقة للاكليل غير المضمحل الذى ينتظره المؤمنون والشهداء والمعترفون بعد القبر . وما كان أحد يتوقع أو حتى يحلم بان ثورة التحول نحو المسيحية ستشمل الامبراطور الوثنى نفسه (قسطنطين) ما خلا العلامة اوريجانوس الذى توقع ما حدث عن بعد نظر .

وقد قال المؤرخون : انه من بين الاسباب القوية لسرعة انتشار المسيحية عقيدة خلود النفس وحياة الدهر الآتى فلم يكن أحد من فلاسفة العالم الوثنى ، يعرف شيئا عن عالم المستقبل على وجه اليقين ، لأنه يقع خارج حدود الفحص والملاحظة والاختبار . وكل اقوالهم فيه لها طابع الاحتمال وعدم التأكد . أما المسيحية فقد اعلنت الوحى بسلطان الالهام الالهى ، معطية يقينا مؤكدا عن الخلود وحياة الدهر الآتى . وكل هذا **مصدقا عليه بقيامة المسيح نفسه من بين الاموات .**

عقيـدة الخلود فى العهد القديم :

(أ) اسفار موسى الخمسة (تكوين ، خروج ، لاويين ، عـدد ، تثنية) صمتت عن الحياة المستقبلة ، مؤكدة الحياة الحاضرة فقط بدلا من المستقبلة . فهـذه الاسفار تعـد من يطيع الناموس ببركات زمنية ، وتتوعد مخالفى الناموس بعقوبات زمنية أيضا . مما جعل طائفة من اليهـود الذين يسمون (الصدوقيين) ينكرون القيامة والخلود غير قابلين اى سفر من اسفار العهد القديم ما عدا اسـفار موسى الخمس فقط .

حقا ان الناموس له دوره المدنى السياسى ، ولكن له دوره الروحى أيضا . فنحن نجد فيه بعض الشذرات الملفتة للنظر التى توحى بالخلود .

+ كشجرة الحياة ومعناها الرمزى (**تك ٢ : ٩ ، ٢٢ : ٢٤**)

+ وفى انتقال اخنوخ بصورة سرية عجيبة ، لم ير الموت مجازاة له على تقواه (**تك ٥ : ٢٤**)

+ والنهى عن استشـارة الموتى (**تث ١٨ : ١١ ، قارن ١ صم ٢٨ : ٧**)

+ وفى التعبيرات عن نياحة رؤساء الآباء كقـولـه « جمع الى قومه » أو « انضـم الى آبائه » **(تـك ٢٥ : ٨ ، ٣٥ : ٢٩ ، ٤٩ : ٢٩ ، ٣٣)**

+ واخيرا فى قول الله (يهـوه) عن نفسه انه اله ابراهيم واسحق ويعقوب ، التى تدل على خلودهم حيث أن الله ليس اله أموات بـل اله احيـاء **(خروج ٣ : ٦ ، ١٦ قارن متى ٢٢ : ٣٢)**

فكل الذين ارتضى الله ان يكون الها لهم ، هم خالدون مثل الله .

(ب) فى الاسفار المتأخرة من العهد القديم ، لا سيما بعد السبى ، اتضحت عقيدة القيامة والخلود ، متجلية بأوضح العبارات الصريحة النابضة :

- ففى سفر ايوب : « أما انا فقد علمت ان ولىى حى ... وبعد ان يفنى جلدى هذا ، وبدون جسدى أرى الله » (**أى ١٩ : ٢٥ ـ ٢٧**)

- وفى سفر الجامعة : « ... فيرجع التراب الى الارض كما كان ، وترجع الروح الى الله الذى أعطاها ... لأن الله يحضر كل عمل الى الدينونة على كل خفى ان كان خيرا أو شرا » (**جا ١٢ : ٧ ، ١٤**)

- ولقد وصلت وضوح الرؤيا عن القيامة عند دانيال هذه القوة : « وكثيرون من الراقدين فى تراب الارض يستيقظون هؤلاء الى الحياة الابدية ، وهؤلاء الى العار للازدراء الابدى . والفاهمون يضيئون كضياء الجلد ، والذين ردوا كثيرين الى البر كالكواكب الى ابد الدهور » (**دا ١٢ : ٢ ، ٣ قارن اشعياء ٦٥ : ١٧ ، ٦٦ : ٢٢ ـ ٢٤**)

قبل المسيح ـ الذى أعلن الحياة الحقيقية ـ كانت النفوس تجمع الى الجحيم (شاؤول) ولكن نقل أخنوخ حيا الى السماء ، وصعود أيليا فى مركبة نارية الى السماء ، يعتبران حالتان فريدتان لهما معنى واحدا وهو : **انه يمكن غلبة الموت بقوة القداسة .**

(ج) أسفار الابوكريفا اليهودية وبالاخص سفر الحكمة ، والمكابيين الثانى والاسفار اليهودية المتأخرة كسفر اخنوخ ، ونبوة عزرا تبين تقدما ملفتا للنظر فى الاعلان عن حياة الدهر الآتى . لقد تميزت منطقتان ، منطقة الجحيم أو جهنم للاشرار ، ومنطقة الفردوس أو حضن ابراهيم للابرار .

وقد اكدت هذه الاسفار حقيقة قيامة الاموات وحياة الدهر الآتى .

التعاليم المسيحية عن حياة الدهر الآتى :

تختلف المسيحية فى نظرتها نحو حياة الدهر الآتى عن كل ما سبق ، وعن كل ما قاله الفلاسفة القدماء فى خمسة نقاط جوهرية :

(١) ان ايمان المسيحيين بالقيامة والخلود يأخذ طابعا يقينيا . فالمسيحى يقبل الاعلان الالهى ممهورا بخاتم قيامة المسيح . وبهذا يشعر المسيحى بالأهمية التى بلا حدود لحياته الحاضرة ، ويحس ان كل اعماله سيكون لها نتائج لا نهائية .

(٢) المسيحية تربط قيامة الجسد مع خلود النفس ، وهكذا تعطى تكاملا قويا للنفس ، وتخلص شخصية الانسان ككل من الفناء .

(٣) المسيحية تجعل الموت عقوبة على الخطيئة ، لذلك فالموت مرعب تقشعر منه النفس بالطبيعة ، فتقشعر بالتالى من الخطيئة . ولكن بعد ما اخرج المسيح شوكة الموت من جسم البشرية ، بدد رعبته وداسه وأذله .

(٤) انها تجعل حالة الانسان المستقبلة مرهونة بفكر الخطيئة والفداء . فالمؤمن فى حياته المقبلة يكون فى حالة قداسة وسعادة مطلقة . أما الخاطىء غير التائب فسيعيش فى بؤس وشقاء مخلد لانه رفض فداء المسيح على الصليب . فالموت والخلود هما بركة لواحد ، وهما رعب لآخر . الاول يطرب لأنه مفدى والثانى يرتعد ...

(٥) المسيحية تعطى اهمية عظمى للدينونة العامة

بعد القيامة ، تلك التى ستحدد المصـــير النهائي لكل البشر بحسب أعمالهم التى عملوها فى حياتهم على الارض .

ولكن علينا أن نميز فى هذا الموضوع السرى العجيب عن ما هو من الايمان والعقيـدة ، وما هو من الآراء الخاصـة واجتهادات المفسرين .

محور الايمان المجيئى للكنيسة هو : ان المسيح سيجيء للدينونة ، للثواب والعقاب الابدى . ويسبق هـذه الدينونة قيامة عامة ، وسيعقبها حياة أبدية .

فمن قوانين الرسل : « سيأتى المسيح ليدين الاحيـاء والاموات ، ونؤمن بالقيامة ، وحياة لا نهاية لها » .

ومن قانون الايمان النيقاوى : « ... وايضـا يأتى فى مجده ليدين الاحياء والاموات الذى ليس لملكه انقضاء ... وننتظر قيامة الاموات ، وحياة الدهر الآتى آمين » .

وفى القداسات التى ترجع فى اصلها الى الرسل ، نجـد تعبيرات تقوية عن نفس النقط فى خدمة الافخارستيا . ففى قداس كلمندس مثلا نجـد :

« ففيما نحن نذكر آلامه وموته وقيامته من الامـوات ، وعودته الى السموات ، وظهوره الثانى الآتى حيث سيجيء فى مجد وقوة ليدين الاحياء والاموات ، ويجازى كل واحـد كحسب أعماله » .

وفى قداس القديس يعقوب :

« ظهوره الثانى المخوف الممجد ، عندما سيأتى بالمجـد ليدين الاحياء والاموات ، ويعطى كل واحد حسب أعماله » .

وفى قداس مار مرقس :

« مجيئه الثانى المرعب المخوف ، الذى سيأتى ليدين الاحياء والاموات بالعدل ،و يعطى لكل واحد حسب أعماله »

هذه هى العقيدة الاصلية والاساسية ، واما فيما عدا ذلك من موضوعات ، فهو خارج عن نطاق الاعلان الالهى وتترك للاجتهادات مثل :

- موعد المجى الثانى ؟؟؟
- ومن هو ضد المسيح (٢ تس ٢ : ٨) وطريقة استعلانه ؟؟؟
- طبيعة حكم الالف سنة ، وهل هو قبل أم بعد
- الدينونة العامة ، ام نحن فيه الآن ؟؟؟
- طبيعة النفوس التى تركت الجسد ، وحالتها ما بين الموت والقيامة ؟؟؟
- طرق العذابات الابدية ودرجاتها ؟؟؟
- مصير الوثنيين الذين يجهلون المسيحية ، والاطفال غير المعمدين ؟؟؟
- موضع السماء ، والجحيم ؟؟؟

كل هذه الاسئلة مطروحة دائما ، وباستمرار يختلف عليها علماء الكنيسة واتقياؤها ، وسيختلفون مثلا : لقد تحدث الانجيل عن صعود الى السماء ، وهبوط الى الجحيم . فهل فعلا موضع السماء فوق ، وموضع الجحيم أسفل ؟ أم هى تعبيرات اللغة التى لا مفر من استخدامها ؟ العالم فوق الطبيعى ربما يكون بعيدا عنا جدا ، ابعد من النجوم وحدود العالم المرئى ـ ان كان له حدود ـ وربما يكون قريبا منا جدا ، ان لم يكن حولنا .

وعلى اية حال ، هناك منازل كثيرة لكل أولاد الله : « فى بيت أبى منازل كثيرة » و « انا ذاهب لاعد لكم مكانا » (**يوحنا** ١٤ : ٢) وهـذا كاف للايمان .

ماذا بين الموت والقيامة

من اكثـر النقط قتاما فى دراسـة المجيئيات ، نقطـة الحالة المتوسطة ، او حالة النفس ما بين الموت والقيـامة . لاننا بصعوبة ندرى حالة النفس حين تتجرد عن الجسـد . وهل تشعر بالسعادة او التعاسـة وهى بدون اعضاء التمتع او التألم . ولقد ورد اربعة احتمالات فى اقـوال الاباء عن احتمال حالة النفس فى تلك الفترة .

(أ) الشـهيد يوستينوس يعتقد أن النفس تستعيد كامل شعورها واحساساتها بعد الموت وهى بدون الجسد . لانها لو فقدت الاحسـاس سيمتاز الاشرار عن الابرار فى تلك الفتـرة .

(ب) اما أوريجانوس ، فقد افترض أن النفس تكتسى بجسد روحانى رهيف أثناء رحلتها المنفردة بعد الموت ... وهـذا الجسد يكون هو جنين جسد القيامة . وهذه الاراء التأملية لهذا المفكر المتبحر ينظر اليها دائمـا بعين الشـك . بل انه يلام على بعض منها .

(جـ) وقد دافع البعض عن فكرة : ان النفس تغفو حـين موت الجسد ، وتستيقظ ساعة القيامة . ولكن هذه الفكرة مرفوضة من معظم الاباء . وخصوصا العلامة ترتليانوس الذى هاجمها بشدة .

(د) ويذكـر التاريخ الكنسى أن بعض المسيحيين فى الجزيرة العربية اعتقدوا بموت النفس مع البدن ، وبعـد

ذلك تخلق من جديد عند القيامة . وقد حارب هـذه البدعة البابا ديوناسيوس الاسـكندرى ١٤ .

ولكن الرأى الغالب فى أقوال الاباء هو ان النفس تـكون فى كامل شعورها واحساساتها حتى وهى متجردة عن الجسد وذلك من أجل طبيعة الخلود الملازمة لها . فان كانت عملت الصالح فى الحياة ، تنمو وتتقدم أكثر فى الصلاح بعد الموت ، وان كانت قد عملت السيئات فى الحياة ، تنمو وتتزايد أكثر فى التعاسة والشر بدون امكانية تحويل الاتجاه الذى اتخذته لها فى الحياة الزمنية .

ان تعليم الكنيسـة عن الحالة المتوسـطة مأخوذ اساسا من مثل الغنى ولعازر (**لوقا ١٦ : ١٩ ــ الخ**) ومن تعبيرات المزامير عن الجحيم (شاؤول) (**مز ١٦ : ١١**) ومن الآيات التى تقول عن نزول ربنا يسوع المسـيح الى أماكن الارض السـفلية **(أع ٢ : ٣١ ، ١ بط ٣ : ١٩ ، ٤ : ٦)** ومن يتتبع آراء آباء ما قبل نيقية يجد خلطا وضبابا كثيفا . ولكن على ضوء النصوص الابائية التى نضجت وقت مجمع نيقية ومـا بعد نيقية يمكن تركيز هـذه الآراء فى النقاط الآتية :

١ ــ ما هو مصير الاتقياء الذين ماتوا قبل المسيح ؟

يقـول الآباء : ان الاتقياء الذين ماتوا قبل المسيح من هابيل الصديق الى يوحنا المعمدان ــ باستثناء قلة قليلة كأخنوخ وايليا ــ قـد احتجزت نفوسـهم فى مـكان ما من شاؤول (أى الجحيم) فى انتظار المجىء الاول . وقد حررهم المسيح بعد الصليب ، وانتقلوا الى الفردوس . وهـذا هو الهدف الرئيسى لنزول السيد المسـيح الى أماكن الارض

السفلية كما تفهمه الكنيسة منذ القديم ، وقبل صياغة قانون الايمان الرسولى .

٢ ـ ما هو امتياز شهداء المسيحية ؟

اعطى الآباء المرتبة الاولى والعظمى للشهداء والمعترفين الذين قبلوا الآلام من أجل اسم المسيح فقالوا بأن الشهداء والمعترفين الذين استشهدوا وتعذبوا من أجل اسم المسيح ، مضافا اليهم بعض القديسين البارزين ، انتقلوا على الفور بعد موتهم الى السماء ، حيث رؤية الله المجدة .. **لذلك كان يشتهى المسيحيون موت الاستشهاد .**

٣ ـ ما هو مصير المسيحيين المؤمنين بعد الموت ؟

الغالبية العظمى من المسيحيين المؤمنين يدخلون لفترة غير معلومة فى حالة من الراحة والسعادة تسمى الفردوس (**لو ٢٣ : ٤١**) أو حضن ابراهيم (**لو ١٦ : ٢٣**) هناك يكملون ويعدون لحياة السماء . وفى ذلك الفردوس يتنقون بالتدريج من ضعفاتهم الباقية ، لأن السماء لا يدخلها الا الطهارة المطلقة ، والنقاوة الكاملة .

ـ لقد افترض اوريجانوس صعودا مستمرا وارتقاء فى المعرفة والطوباوية للنفوس فى الفردوس . ومن الملاحظ اننا لا نجد فى كتابات الاباء القدامى اى أثر لبدعة المطهر التى ادخلها الكاثوليك فى القرن السادس ولا اى عذابات كفارية ولا نار مطهرية كما سنناقش هذه البدعة بتفصيل اكثر فى البند (٩) .

٤ ـ اين هو مكان الفردوس ؟

اختلف الآباء فى تحديد مكان الفردوس . فمنهم من يقول انه اسفل السماء وفوق الارض ، ومنهم من يقول

انه أعلا من جهنم ، وأسفل الارض . ولكن يجمع الآباء انه على أى وضع غير مسكن الصديقين الابدى .

٥ ــ ما هو مصير غير المؤمنين ، والمؤمنين غير التائبين ؟

يقول الاباء : انهم سيمضون الى الاماكن السفلية فى الجحيم (جهنم) فى فترة تمهيدية من التعاسة والشقاء والاهوال المفزعة من توقعات الدينونة النهائية .

٦ ــ ما هو مصير الاطفال غير المعمدين ؟

معظم الآباء تركوهم فى ظلمة بلا رجاء . ما عدا يوستينوس الاسكندرى ، حيث جعل النعمة الالهية تمتد بفاعليتها فيما وراء حدود الكنيسة المنظورة . . .

ومن المقدمات المنطقية التى كتبها يوستينوس كان يمكن أن يصل الى نتيجة أن غير المسيحيين الذين تبعوا نور الكلمة (اللوغوس) وماتوا دون أن يسمعوا عن المسيحية شيئا ، او كانوا يستعدون لأعتناق المسيحية سيخلصون ايضا .

٧ ــ هل يوجد درجات فى الفردوس ، ودرجات اخرى فى الجحيم ؟

يقول الاباء : انه يوجد فى العالم الآخر درجات مختلفة من السعادة أو التعاسة بحسب استحقاقات الاعمال الصالحة او الذنوب . واقوال الآباء فى هذا الموضوع مدعمة بآيات من الكتاب المقدس .

٨ ــ هل من نفع للصلاة على المنتقلين ؟

طالما سلمنا بعدم كمال الحالة المتوسطة ، وامكانية التقدم للنفوس التى فى الفردوس ، فلا بد أن نسلم بأهمية

الصلاة على المنتقلين ، لأن الفكرتان مرتبطتان .

حقا اننا لا نجد لا فى العهد القديم ولا فى العهد الجديد اى اثر لعادة الصلاة على المنتقلين ، فقط فى سفر المكابيين الثانى ، حيث قدم يهوذا المكابى ورفاقه صلوات وتقدمات من أجل الذين قتلوا فى معركة « كى تمحى الخطيئة » **(٢ مكابيين ١٢ : ٣٩ ـ الخ ، أنظر متى ٥ : ٢٦ ، ١٢ : ٣٢ ، كو ٣ : ١٣ ـ ١٥) .**

ونلاحظ فى تقاليد الآباء واقوالهم رابطة قوية بينهم وبين الذين انتقلوا . فترتليانوس يقول صراحة : نحن نرفع القرابين من أجل الموتى فى الذكرى السنوية لميلادهم فى السماء . وجعل هذه العادة هى علامة الارملة المسيحية فقال : الارملة المسيحية هى الارملة التى تصلى على روح زوجها ، وتتطلب له نياحا ، وترفع التقدمات من أجله فى الذكرى السنوية لرقاده ، طالبة ان ترافقة فى القيامة الاولى .

وقال المؤرخون القدماء انهم شاهدوا جموعا غفيرة من المسيحيين ومعهم كهنة الكنيسة يحيطون بقبر الملك قسطنطين مصلين بدموع ، وطالبين نياحا من أجل نفس الامبراطور .

اما اغسطينوس فقد حث فى عظاته على الصلاة من أجل الموتى الاتقياء فى خدمة الافخارستيا ، وقال بأن هذه العادة مرعية فى كنائس العالم كله كتقليد راسخ مسلم من الآباء . وهو نفسه كان يرفع الصلوات من أجل نياح نفس امه التى انتقلت ، بناء على طلبها . ويؤيد قول اغسطينوس هذا ما هو مكتوب فى القداسات القديمة ، حيث كانت تشتمل على تذكار المتنيحين كعنصر اساسى فيها .

ففى قداس مار يعقوب الرسول نجد هذه الصلاة التقوية :

« اذكر يا رب ارواح الذين نذكرهم والذين لا نذكرهم

الذين ماتوا على الايمان الحقيقى ، من هابيل الصديق حتى اليـــوم . تفضل يا رب ان تذكرهم وان تعطيهم نياحا هناك فى كورة الاحياء فى ملكوتك فى فردوس النعيم . فى أحضان آبائنا القديسين ابراهيم واسحق ويعقوب . الموضـــع الذى هرب منه الحزن والكابة والتنهـد . اضىء عليهم بنور وجهك فيستضيئوا بك الى الابـــد » .

وايضا فى القداس الذى جمعة كلمندس عن الرسل :

« نقرب لك تقدمة من اجل الذين تنيحوا فى الايـــمان ، جميع قديسيك الذين ارضوك منـذ بدء العالم . رؤســاء الآباء ، والانبياء ، والصديقين ، والرسل ، والشـــهداء ، والمعترفين ، والاســـاقفة ، والقســـوس ، والشمامسة ، والاغنسطسين ، والمـرتلين ، والراهبـات ، والارامـل ، والعلمانيين ، وكل اولئك الذين تعرفهم انت يارب بالأسم » .

٩ ـ مناقشـة بدعة المطهر :

تفشت فى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بدعة مؤداها أن النفس تمضى الى نار مطهرية بعـد المـوت كى تتطهر من الهفوات التى ارتكبتها فى هذه الحياة بتعذيبها فترة معينـة ، تنتقل بعدها الى السماء ...

وهذه العقيـدة لا اثر لها فى اقوال آباء ما قبل نيقية حيث لا يوجد اى اثر للعذاب العقابى للنفس المسيحية بعد خروجها من الجسد ، والا ما قيمة فداء المســـيح ؟ على العكس : يصف الاباء نفوس المنتقلين بأنها فى حالة من الراحة والغبطة ، ولكنها اقل كمالا من النعيم الذى سينالونه بعـــد الدينونة الاخـيرة .

والفردوس بالنسبة لفكر الاباء هو مكان سماوى ، فى حين

يجعل الرومان الكاثوليك مطهرهم فى مكان بين السماء والجحيم ، وهو اقرب الى الجحيم منه الى السماء .

والنقوش المسيحية القديمة التى وجدت فى سراديب القبور ، نقشت بعض العبارات الدالة على الفرح والبهجة يخاطب بها الاحياء نفوس الموتى مثل : « ادخل الى السلام والراحة » أو « تمتع بالاتحاد بالله » أو « تمتع بالحياة مع المسيح » أو « ارقد فى النور والنياح ، متذوقا للسعادة الابدية » .

فاين النار المطهرية ؟ ومن اين اتى بها الكاثوليك ؟

والخلاصة ان بدعة المطهر ليست آبائية على الاطلاق ، وضد روح المحبة الالهية ، وتقلل من قيمة عمل الفداء الذى أتمه ربنا يسوع المسيح على الصليب .

ما بعد الدينونة

لا يوجد فى اقوال الآباء اى خلاف حول الابرار الذين سيرثون الحياة الدائمة ، ويتمتعون ببركة الاتحاد بالله الى ابد الآبدين . أما بالنسبة لمصير الاشرار غير التائبين الذين رفضوا فرص الخلاص المقدمة لهم حتى النهاية ، فهناك ثلاثة اجابات قالها الاباء :

(١) اما عذاب ابدى ينتهى .

(٢) واما ابادة وافناء وملاشاة .

(٣) واما استرجاعهم بعد عذابات طويلة الى الله والسماء .

ولكن بلا شك الاجابة الاولى ـ اى عقوبة الاشرار وعذابهم الابدى كانت وستكون وهى دائما العقيدة الارثوذكسية

السليمة . ولنتكلم أولا عن الحياة الابدية التى سينعم بها الابرار ، ثم نناقش الثلاثةالآراء المطروحة عن عقوبة الاشرار .

الحيـاة الابـدية :

+ **الحياة الابدية هى وعد الله لنا** : هذا هو الوعد الذى وعدنا به ، الحياةالابدية (**١ يو ٢ : ٢٥**) وايضا « رجـاء الحياة الابدية التى وعد بها الله المنزه عن الكذب قبل الازمنة الازلية . (**تى ١ : ٢**)

+ **وقد وضع الله الحياة الابدية فى قلب الانسان** : « وايضا جعل الابدية فى قلبهم التى بلاها لا يدرك الانسان العمل الذى يعمله الله من البداية الى النهاية . (**جامعه ٣ : ١١**)

+ **الكتاب المقدس هو الذى ينـير لنا طريق الخلود** : « يا رب الى من نذهب . كلام الحيـاة الابدية عنـدك » (يوحنـا ٤ : ٣٦) وايضا « فتشوا الكتب لانكم تظنون أن لكم فيهاحياة أبدية وهى تشهد لى . ولاتريدون أن تأتوا لتكون لكم حياة » (**يوحنا ٦ : ٣٩**) وايضـا « وانما الآن اظهرت بظهور مخلصنا يسوع المسـيح الذى ابطل الموت وانار الحياة والخلود بواسـطة الانجيل » (**٢ تى ١ : ١٠**)

ومن هذا الكتاب المبارك عرفنا طرق الحياة الابدية وهى :

(١) **الايمان بالمسيح** : « الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية ، والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حيـاة بل يمكث عليه غضب الله » (**يوحنا ٣ : ٣٦**) « وكما رفع موسى الحية فى البرية ، هكذا ينبغى ان يرفع ابن الانسان لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تـكون له حياة ابدية ، لانه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيـد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تـكون له الحياة الابدية » (**يوحنا ٣ : ١٤ ـ ١٦**) « الحق الحق أقول لكم أن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى ارسلنى فله حيـاة

ابدية ولا يأتي الى دينونة بل قد انتقل من الموت الى الحياة » (**يوحنا ٥ : ٢٤**) « الحق الحق اقول لكم من يؤمن بى فله حياة ابدية ... لأن هذه هى مشيئة الذى ارسلنى ان كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة ابدية وانا اقيمه فى اليوم الاخير » . (**يوحنا ٦ : ٤٦ ، ٤٠**)

(٢) **حفظ الوصايا** : فحينما تقدم الشاب الغنى الى يسوع وسأله « ماذا أعمل لتكون لى الحياة الابدية ؟ » أجابة يسوع بأن يحفظ الوصايا (**متى ١٩ : ١٦ ، مرقس ١٠ : ١٧ ، لوقا ١٠ : ٢٥ ، ١٨ : ١٨**) « وانا اعلم أن وصيته هى حياة ابدية » (**يوحنا ١٢ : ٥٠**) وايضا « احفظوا انفسكم فى محبة الله منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الابدية » (يهوذا ٢١) و « كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس . وانتم تعلمون ان كل قاتل نفس ليس له حياة ابدية ثابتة فيه » (**١ يوحنا ٣ : ١٥**) وايضا « اما الذين بصبر فى العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الابدية » (**رومية ٢ : ٧**) و « اوص الاغنياء فى الدهر الحاضر ... أن يصنعوا صلاحا ، وان يكونوا اغنياء فى اعمال صالحة . وان يكونوا اسخياء فى العطاء ، كرماء فى التوزيع . مدخرين لانفسهم اساسا حسنا للمستقبل لكى يمسكوا بالحياة الأبدية » (**١ تى ٦ : ١٧ ـ ١٩**)

(٣) **أعمال الروح ، أو الاهتمام بالروح اكثر من الجسد** : « لان من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فسادا ، ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة ابدية » (**غلاطية ٦ : ٨**) وايضا « اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الابدية الذى يعطيكم ابن الانسان » (**يوحنا ٦ : ٢٨**)

(٤) **العتق من الخطيئة** : « واما الآن اذ اعتقتم من الخطيئة ، وصرتم عبيدا لله فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حياة ابدية . لأن اجرة الخطيئة هى موت ، واما هبة الله فهى

حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا » (**رومية ٦ : ٢٢ ، ٢٣**) « صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء الى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم انا . لكنني لهذا رحمت ليظهر يسوع المسيح في انا أولا كل اناة مثالا للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الابدية » (**١ تي ١ : ١٥**) « حتى كما ملكت الخطيئة في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا » (**رومية ٥ : ٢١**) « حتى اذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية » (**تيطس ٣ : ٧**)

(٥) **الالتصاق بالكنيسة** : « خرافي تسمع صوتي ، وأنا اعرفها فتتبعني ، وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك الى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي (**يوحنا ١٠ : ٢٨**) وعن المعمودية « ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه انا فلن يعطش الى الابد ، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حياةأبدية » (يوحنا ٤:١٤) وعن الافخارستيا « أناهو الخبز الحي الذي نزل من السماء . ان اكل أحد من هذا الخبز يحيا لى الابد . والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم ... من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الاخير .. من يأكل هذا الخبز فانه يحيا الى الابد » (**يوحنا ٦ : ٥١ ، ٥٤ ، ٥٨**)

(٦) **التضحية من أجل المسيح** : « من يحب نفسه يهلكها ، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها الى حياة أبدية » (يوحنا ١٢ : ٢٥) « وكل من ترك بيوتا أو اخوة أو أخوات أو ابا أو اما أو امراة او اولادا أو حقول من اجل اسمي يأخذ مئة ضعف ، ويرث الحياة الابدية » (**متى ١٩ : ٢٩** ، مرقس ١٠ : ٣٠ ، لو ١٨ : ٣٠)

(٧) **المناداة والشهادة ببشارة الحياة الابدية** : « فان الحياة اظهرت ، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة

الابدية التى كانت عندالآب واظهرت لنا » (**١ يوحنا ١ : ٢**) وهذه هى الشهادة أن الله أعطانا حياة ابدية . هـذه الحياة هى فى ابنـــه ... كتبت اليـــكم لـكى تعلموا أن لكم حياة أبدية ... ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح ، هذا هو الاله الحق والحيـــاة الابدية (**١ يو ٥ : ١١ ، ١٣ ، ٢٠**) « جاهد جهاد الايمان الحسن ، وامسك بالحياة الابدية التى اليها دعيت » (**١تى ٦ : ١٢**) « والحاصد يأخـذ أجـرة ويجمع ثمرا للحياة الابدية » (**يوحنا ١٤ : ٣٦**)

ويعلق القديس كيرلس الاورشليمى على تنوع طرق ميراث الحياة الابدية بقوله : كثيرة هى طرق الحياة الابدية ، لأن الرب فى محبته المترفقة فتح لا بابا واحـــدا ولا اثنين ، لكن ابوابا كثيرة بها ندخل الحياة الابدية حتى يمكن للكل أن يتمتعوا بها .

مصـــير الاشرار :

(١) **فكرة العذاب الابدى ــ** وهى الفكرة الارثوذكســـية الاصيلة المدعمة بأقوال الرب نفسه فى الانجيل المقدس ، والتى نادى بها غالبية الاباء وهى أن الاشرار سيخلدون فى العـذاب الى أبد الدهر ... يتـــكلم اغناطيوس اللابس الاله عن النار التى لا تطفأ . وهرماس يتكلم عن الذين سوف لا يخلصون بل سيهلكون تماما لأنهم ســـوف لا يتوبون . ويعلم يوستينوس الشهيد بأن الاشرار الذين لا امل فى توبتهم ، سيطرحون الى عذاب ابدى قائلا : « نحن نؤمن أن جميع الذين يعيشون فى الشرور ولم يتوبوا ، سيعاقبون فى نار أبدية » وايريناؤوس يتكلم عن النار المؤبدة المعدة للخطاة ، لأن الرب قـد أكـد هـذه الحقيقة بوضوح . وهيبوليتس يعتقد فى نار الجحيم الحارقة التى بلا أشـعة ، حيث ظلمة لا يضيئها ولا شـعاع واحد من صوت كلمة الله المضيء . وترتليانوس يقرر أن العذاب الابدى للاشرار لا يتعارض مع مراحم الرب . لأنهم هم الذين رفضوا خلاص الله الذى بذل حياته من أجلهم . وكبريانوس ينسب رعبة الموت الى الخوف من عذاب الجحيم المؤبد .

(٢) فكرة افناء وملاشـــاة الاشرار ـ وقد تخيلها بعض الاباء ليكون الكون فى النهايةطاهرا نقياخاليا من كل اثر للخطيئة والشر . وفى توافق كلى مع نقاوة الله ... ولكنها نشأت على حســـاب حقيقـــة الخـــلود الطبيعى للنفس . اقتنـــع ارنوبيوس (وهو من آباء ما قبل نيقيـــة) أن خلود النفس مشروط بشروط معينة لا تنطبق على الاشرار . كذلك قال ان الخطيئة تحطم الخاطىء فى النهاية ، وبهذا تحطم نفسها . فعلم بافناء فعلى لنفوس الاشرار لانه يتكلم عن نفوس معينة تســـقط فى الهاوية وتشـــتعل الى ان تحـــترق ، أو يطوح بهـــا وتصير كلا شىء مختفية فى الفناء والهلاك الابدى .

(٣) فـكرة الاسترجاع ، والعودة النهائيـــة الى الله ـ كان أوريجانس هو اول مسيحى كونى ، نادى بفكرة استعادة الكون كله الى الله . وكان يقول هذا بأتضاع الانسان المتأمل وليس كتعليم عقيدى ملزم . ففى كتابه «المبادىء» الذى الفه فى بداية حياته سنة ٢٣١ م قال بأن غاية تعذيب الاشرار هـــو توبتهم ، وانهم حينما يتوبون سيقبل الله توبتهم ويعيدهم الى السماء حتى لا يتبقى انسانا واحـــدا فى الجحيم . وتعـــود الخليقة العاقلة الى حالة القداسة والسعادة ويتوافق الكون كله مع الله حسب نظامه الاول . بل وحتى الشياطين ستخلص فى النهاية ... ولكن أوريجانوس فى نهاية حياته صمت عن هـــذا الرأى ، واستثنى الشيطان من التـــوبة النهائيـــة للخلاص . ولم يفطن أن هـــذا الاستثناء قد هزم الفكرة من أساسها . والنقد الذى يوجه الى هـــذه الفكرة انها توحى بأجبار حرية الارادة الانسانية بطريق العنف والتعذيب .. كذلك تتجاهل هـــذه الفـــكرة طبيعة الخطيئة فى انها تقسى الانسان اكثر فاكثر وتجعل فرص توبته ضئيلة ... ايضا ، ان كان الخلاص والتجـــديد هما ضرورة محتمة ، فانهما يفقدان تأثيرهما وهدفهما الاخلاقى فى تقبلهما اختياريا .

اعتنق هـــذه الفكرة ايضا غريغوريوس أسقف نيصص ،

وهو مفكر موهوب من مدرسة أوريجانس كذلك اعتنقها بعض اللاهوتيين فى انطاكيا ، وكثيرون من الاساقفة النساطرة

ولكن هذه الفكرة قد رفضت من ابيفانيوس اسقف قبرص ، وجيروم ، واغسطينوس . واصبحت اخيرا من الاخطاء التى ادين عليها أوريجانوس . ومن سنة ٥٤٣ اعتبرت هرطقة تحرمها الكنيسة ... ولكنها ظهرت حديثا فى بعض الطوائف البروتستانتية حيث ينظرون اليها بعين العطف وكأمل خلاب .

مخيفة هى الدينونة ، ومرعبة هى تلك الحقائق الكتابية الابائية
الحياة الابدية موضوعة امامنا بكل بركاتها
والعذاب الابدى موضوع ايضا امامنا بكل بشاعته

فلنحرص فى حياتنا هذه الزائلة ان نفلت من النار الابدية ، ونرث الحياة بالمسيح يسوع ربنا .

المسيح يملك الى الابد :

قامت بدعة فى ايام القديس كيرلس الاورشليمى مؤداها انه بعد الدينونة ونهاية العالم الحاضر ، لن يحكم المسيح بعد !!! مستندين على القول : « لأنه يجب ان يملك ، حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه » (**١ كو ١٥ : ٢٥ ، عب ١٠ : ١٣**) ثم « ومتى اخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه سيخضع للذى اخضع له الكل (**١ كو ١٥ : ٢٨**) قائلين ان الابن بعدها ينتهى ويمتص فى الآب !!!

ويرد عليهم كيرلس الاورشليمى قائلا : هل انتم تبقون الى الابد ، يامن انتم خليقة المسيح ، بينما يفنى المسيح خالقكم ، وخالق كل الخليقة ؟ يا له من تجديف ! قولوا لى كيف تخضع الخليقة ، ابفنائها أم ببقائها ؟ فان كنا نحن نبقى اقما يبقى المسيح الذى وهبنا الخلود ؟

ثم يسوق الآيات التى تثبت ابدية المسيح : « الابن يبقى الى الابد » (**يوحنا ٨ : ٣٥**) ، « يملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه نهاية » (**لوقا ١ : ٣٣**) وايضا فى سفر دانيال : « سلطانه سلطان ابدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض » (**دانيال ٧ : ١٤**)

ثم يشرح القديس كيرلس الاورشليمى معنى كلمة حتى فى الآية « لانه يجب ان يملك حتى ... » مبينا انها تفيد الاستمرار وليس الغاية . كما فى الآية : « لكن قد ملك الموت من آدم حتى موسى » (**رو ٥ : ١٤**) ويتسائل القديس هل كان الناس يموتون قبل موسى ، وبعدة لا يموتون ؟

(أنظر ايضا الآيات يوحنا ٨ : ٢٩ ، ٢ كو ٢ : ١٤ ، ١٥ ، ٢ كو ١٠ : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، عب ٣ : ١٣

ملكوت المسيح الارضى وحكم الالف سنة

لقد سرى تيار فكرى جارف فى كنيسة العصور الاولى بأن المسيح سيأتى قبل الدينونة ، ويملك على الارض الف سنة سيقيد فيها الشيطان ، وتنتهى كل المعاثر من كل الارض . وسيقيم المسيح الشهداء والقديسين من الموت ليملكوا معه . وسيكون هذا العصر عصرا ذهبيا للكنيسة على الارض كلها حيث يسود العدل والسلام والاطمئنان ، وتكثر خيرات الارض جدا ... وقرب نهايتها لا بد ان يحل الشيطان قليلا ، ثم ينمحق تماما وتأتى الدينونة .

لقد قال بهذا الراى معلمون بارزون من آباء الكنيسة مثل : برناباس ، وبابياس ، ويوستين الشهيد ، وايريناؤوس ، وترتليان ، وميثوديوس ولاكتانتيوس . فى حين أن كايوس ، أوريجانوس ، والبابا ديوناسيوس الاسكندرى ، وجيروم واغسطينوس قد روحنوا هذه الفكرة . معتبرين أن المسيح

قـد أتى وملك فعلا ونحن الآن نعيش فى فترة الألف سنة ، وان كل وعود الله لاسرائيل قد آلت الى الكنيسة ، وتحققت فيها رمزيا .

ولكن الكنيسة لم تقبل تعليما عقيـديا مثـل هـذا فى جسمها كقانون ايمـان ، ولم تعطه أى صفـة تقوية ...

ربما كان الاباء الاولون متأثرين بالفكر اليهودى الخاطىء عن تكوين مملكة مادية للمسيا المنتظر . ولما جاءت المسيحية ، ميزت بين مجيئين : الاول قبـل حكم الالف سنة لتأسيس مملكة الكنيسة على الارض ، المجىء الثانى للدينونة . وجعلوا من حكم المسـيح الالفى مجرد مقـدمة لسلطانه الابدى فى السمـاء . وحكم الالف سنة كما توقعوه سيتبعث فجأة بصورة غير متوقعة وليس كنضج طبيعى للتاريخ (*) .

(*) هامش : من أقوى النصوص المباشرة عن حكم الألف سنة ما جاء فى سفر الرؤيا ، وهذا نصه :

« ورأيت ملاكا نازلا من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده . فقبض على التنين الحية القديمة الذى هو ابليس والشيطان وقيده الف سنة وطرحه فى الهاوية وأغلق عليه وختم عليه لكى لا يضل الأمم فى ما بعد حتى تتم الألف السنة وبعد ذلك لا بد أن يحل زمانا يسيرا .

ورأيت عروشا فجلسوا عليها وأعطوا حكما ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة . وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف السنة . هذه هى القيامة الأولى . مبارك ومقدس من له نصيب فى القيامة الأولى هؤلاء ليس للموت الثانى سلطان عليهم بل سيكونون كهنة لله والمسيح وسيملكون معه الف سنة .

ثم متى تمت الألف السنة يحل الشيطان من سجنه ، ويخرج ليضل الأمم الذين فى أربع زوايا الأرض جوج وماجوج ليجمعهم للحرب الذين عددهم=

وقد صاحب فكرة الملكوت الارضى قرب مجىء المسيح . وأن الحياة الارضية على وشك أن تطوى وتنتهى . فرغم أن المسيحيين لا يعرفون اليوم ولا الساعة ، الا انهم مطالبون باستمرار باليقظة والسهر والاستعداد ... وبدافع هذه الفكرة زهد الكثيرون فى حياة الارض وفضلوا الاستشهاد واحتمال الآلام بشجاعة نادرة (**انظر متى : ٢٤ :**

= مثل رمل البحر . فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة . فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم . وابليس الذى كان يضلهم طرح فى بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبى الكذاب وسيعذبون نهارا وليلا إلى أبد الآبدين » .(رؤيا ٢٠ : ١ — ١١) .

ومعه نصوص أخرى مثل : « فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى والعجل والشبل والمسمن معا وصبى صغير يسوقها . والبقرة والدبة ترعيان ، تربض أولادهما معا . والأسد كالبقر يأكل تبنا ويلعب الرضيع على سرب الصل ، ويمد الفطيم يده على جحر الافعوان . لا يسوءون ولا يفسدون فى كل جبل قدسى لأن الأرض تمتلىء من معرفة الرب كما تغطى المياه البحر. (أشعياء ١١ : ٤ — ٩) .

« ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم قبل . الذى ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شىء التى تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر (أعمال ٣ : ٢١) .

« فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافوك لأنك تكافى فى قيامة الأبرار . فلما سمع ذلك واحد من المتكئين قال طوبى لمن يأكل خبزا فى ملكوت الله . (لوقا١٤ : ١٢ — الخ) .

« فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر»(متى ١٩ : ٢٨) .

« لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة العالم فاذايكون إقتبالهم إلا حياة من الأموات ؟ » . (رومية ١١ : ١٥) .

٣٣ ، ٣٦) (مرقس ١٣ : ٣٢ ، اع ١ : ٧ ، ١ تس ٥ : ١ ، ٢ ٢ بط ٣ : ١٠ ، رؤ ١ : ٣ ، ٣ : ٣)

ولنتابع الآن هـذا الموضوع الغامض فى فكر الآباء :

+ اول من علم به هـو برناباس فى رسـالته المكتوبة سنة ١٦٠ م . ففى الاصحاح الخامس عشر فى هذه الرسالة يطابق بين ستة ايام الخليقة المذكورة فى توراة موسى النبى بعصور استكمال صنع العالم . كل عصر يساوى الف سنة حيث ان يوما واحـدا عند الرب هو كالف سنة (**٢ بط ٣:٨**) ثم يأتى اليوم السابع الذى هو عصر الحـكم الالفى يعقبه يوم ثامن ابدى . ودعى برناباس اليـوم الثامن (يوم الاحـد) يوم الرب ...

+ بابياس الذى من هيرابوليس : كان تلميـذ ليوحنـا الرسول ، وكان رجلا تقيا بسيطا ساذجا . فقد كتب افكارا غـير مألوفة عن السعادة والغبطة التى ستكون اثنـاء فترة حكم الالف السنة . قال انه سمع هـذا الكلام من الرسول يوحنا حينما كان الرب يكلمه . انه يصور كثرة المحاصيل ووفرتها لا سيما القمح والكروم... ولعله كان يعنى بركة سر الافخارستيا واتحادنا بالرب يسوع .

+ القديس يوستينوس الشهيد (**مستندا على سفر حزقيـال والرؤيا ، واشـعياء ٦٥ : ١٧ ـ الخ ، مزمور ٩٠ : ٤**) يتكلم مرارا وتكرارا عن (الباروسيا) أى الظهور الثانى لربنا يسوع المسيح فى سحاب السماء محاطا بالملائكة والقديسين . ويسبق هـذا الظهور استعلان انسان الخطيئة الذى يتكلم بتجاديف ضد الله العلى . وسيحكم ثلاثة سنوات ونصف يسبقها انبياء كذبة وهرطقات كثيرة (**دانيـال ٧ : ٢٥ ، ٢ تس ٢ : ٨**) ثم يقيم المسـيح آنذاك من الموت رؤساء الآباء ، والانبياء وجميـع الاتقياء ويؤسس حسكم

الالف سنة فيملك وسط قديسيه فى المدينة المقدسة . وبعد الالف سنة تأتى القيامة العامة ، وتجرى دينونة العالم .

انه ينادى بأن ملكوت الرب يسوع على الارض هو حجر الزاوية فى التعليم السليم للكنيسة ، ولكنه يشكو أن بعضا من معاصريه لا يشاركونه هذا الرأى .

أما فى رسائله التى كتبها دفاعا عن المسيحية لدى الحكام ، لم يذكر شيئا عن حكم الالف سنة . ولم ينفها بل ذكر وجهة النظر العادية فقط للقيامة العامة والدينونة .

+ ايرناؤوس يتكلم بقوة التقليد الرسولى الذى تسلمه من يوحنا تلميذ الرب ـ انه بعد انهيار الامبراطورية الرومانية سيحكم ضد المسيح لمدة ثلاث سنوات ونصف ، اى ١٢٦٠ يوما سيظهر المسيح بهيئة منظورة ويقيد الشيطان ويحكم كل أمم الارض وسط جماعة قديسيه الذين قاموا من الاموات . ويقيمون سبت الالف سنة استعدادا للمجد الابدى فى السماء . حينئذ بعد اطلاق الشيطان فترة وجيزة ، تأتى النصرة النهائية عليه وتتم القيامة العامة ودينونة العالم كله ، والحياة الابدية فى سماء جديدة وأرض جديدة ...

+ ترتليانوس ، كان متحمسا لرأى حكم الالف سنة ، ولم يكتف بما جاء فى سفر الرؤيا ، بل استشهد بأقوال قادة بدعة المونتانيين (وهى بدعة تشبه الخمسينيين فى وقتنا الحاضر الى حد بعيد) الذين تمادوا فى اضافات من عندياتهم كتنبؤات خاصة جعلت موضوع الالف سنة مشكوكا فيه ، فبدأت مجامع الاساقفة فى آسيا الصغرى تحرم كل قائل بهذا القول .

+ وبعد ترتليانوس علم كوميديان عن حكم الالف سنة ـ

بدون اضافات المونتانيين ـ قرب نهاية القرن الثالث وأيضا لاكتانتيوس ، ثم فيكتوريانوس الذى من مدينة بيتا فى بداية القرن الرابع .

وآخر المدافعين عنها فى الشرق كان ميثوديوس (الذى استشهد سنة ٣١١) وكانت أفكاره باستمرار ضد اوريجانوس وأبوليناريوس .

ننتقل الآن الى الاراء الابائية المعارضة للملكوت الارضى :

+ بدأت المعارضة من الاسقف كايوس بآسيا الصغرى : الذى حرم بدعة المونتانيين ، وهاجم فكرة الملكوت الارضى .

+ أما الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، فلم تتعاطف مع أى راى مجيئى ، لانها وطدت نفسها أن تستقر فى راحة ونمو عادى فى هذا العالم .

+ أما فى كنيسة الاسكندرية ، فقد عارض أوريجانوس فكرة الملكوت الارضى ، واعتبر أنها بقايا يهودية فى الكنيسة يجب ان تستأصل . وروحن كل ما هو مكتوب فى الانجيل عن حكم الالف سنة معطيا اياها معنى رمزيا .

وقد درس البابا ديوناسيوس الكبير فكرة الملكوت الارضى ، وكتب مؤلفا تفصيليا ضدها ـ ولكن هذا المؤلف فقد الأسف ولم نسمع عنه الا من المؤرخين . وفيه حرم البابا كل القائلين بلذات أرضية فى ملكوت المسيح .

اما فى العصر النيقاوى وما بعده ، حيث اعتنق الاباطرة الديانة المسيحية على غير المتوقع ، وبدأت الكنيسة تعيش فى رخاء ومجد ، وجه الاباء الضربة القاضية لفكرة الملكوت الارضى وحكم الالف السنة . وبدلا من ان يكون موضع صلاة واشتياق وترقب ، كما كان سابقا ، اصبحوا ينادون بأن

حكم المسيح مع قديسيه قد بدأ فعلا من بداية ظهور المسيح على الارض ، أو من بداية تحول الملك قسطنطين الى الديانة المسيحية حيث انهارت الوثنية وتحقق مجد الكنيسة وسيادتها .

+ وسرعان ما فلسف اغسطينوس فكرة الالف سنة وجعلها سيادة روحية للمسيح على نفوس قديسيه . رغم كونه كان معتنقا فكرة الملكوت الارضى فى بداية مسيحيته .

+ ومن ايام الملك قسطنطين ، واغسطينوس اصبحت فكرة الملكوت الارضى فكرة هرطوقية مرفوضة تماما حتى من البروتستانت الذين اتوا فيما بعد .

+ وبعد مرور الف سنة على حكم الملك قسطنطين ، توقع الناس اقتراب الدينونة النهائية (بين سنة ١٣٠٠ و ١٤٠٠ م) ولما لم تحدث ، بدأت الفكرة تتحرك من جديد كامل يراوض بعض الاتقياء ، فرادى وجماعات ، بدافع الاحساس الروحى الحر . لا سيما حينما يرون أن التاريخ اصبح نذير شئوم الكنيسة ، ويرون فشل العمل التبشيرى بحسب التخطيط البشرى . فيلجأون الى تفسير النبوات حرفيا ويقومون بمحاولات دؤوبة لحساب رقم ٦٦٦ ، وحساب الازمنة والاوقات التى جعلها الآب فى سلطانه وحده (**اعمال ١ : ٧**) ولم يفضل أن يعلنها لأنه أيام تجسده . وتخفق قلوبهم مع الحوادث التاريخية التى يشعرون انها تتفق مع فكرتهم ...

وعلى أية حال ، فان حكم الالف سنة امل كامن فى اعماق الكنيسة ، تتطلع فيه الى عصر ذهبى لها على الارض بعد عصور الآلام والتعذيب والانقبار التى جازتها كجسد سرى للمسيح .

والارض كلها تتوقع سبتا عظيما للتاريخ بعد قرون طويلة من المعاناة والكد .

ان المجاهدين فى الكنيسة يتوقون الى مجد الكنيسة وعزتها دائما ، ويتطلعون الى سماء جديدة وارض جديدة حيث يسكن البر (٢ بطرس ٣ : ١٣) .

« اذا بقيت راحة لشعب الله »

(عبرانيين ٤ : ٩)

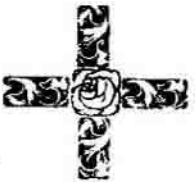

سر المصير البشرى

وهو مقتطفات من سفر نبوة عزرا ... السفر الذى كان اليهود يحرصون على اخفائه ، ولكنه تسرب وانتشر الآن .

هذه المقتطفات عبارة عن حوار شيق جدا بين عزرا الذى كان مسبيا فى بابل ، وبين الملاك سوريال الذى أرسل من قبل الرب ليفهمه سر المصير البشرى .

من الاصحاح الثانى

... انا عزرا ، رايت جمهورا لا يحصى ، كبيرا جدا على جبل صهيون ، وكلهم يرنمون بتسابيح الحمد للرب . وفى الوسط وقف شاب طويل القامة ، أطول من الكل ، كان يضع تاجا على رأس كل واحد منهم ، وكان واقفا فوقهم كلهم . فذهلت للمنظر ، وسألت الملاك : « يا سيد من هؤلاء ؟ » فأجاب « هؤلاء هم الذين خلعوا ثوبهم الفانى ، ولبسوا الخلود . أولئك هم الذين عرفوا أسم الله ؛ الآن هم يأخذون تيجانا وسعف النخل » وسألت ايضا : « من هو الشاب الذى يضع التيجان على رؤوسهم ويعطيهم سعف النخل ؟ » فأجاب الملاك : « انه ابن الله الذى عرفوه فى هذه الحياة الفانية » فبدأت اغبط أولئك الذين وقفوا ببسالة من أجل أسم الرب .

حينئذ قال لى الملاك « اذهب واخبر شعبى بعظائم الرب الاله العجيبة التى رأيتها »

من الاصحاح الرابع

فأجابنى الملاك الذى أرسل الى ، الذى يسمى سوريال ؛ قائلا : « لقد تحير قلبك بكل انقسام واستكبر عليك جدا وانت تريد أن تفسر الدنيا . اتشاء أن تفهم طرق العلى ؟ » فأجبت : « نعم يا سيدى » فأجابنى قائلا : « لقد أرسلت لكى أوضح لك ثلاثة سبل لهذا العالم ، لأعطيك ثلاث امثلة من التى على الارض ، فان استطعت ان تفسر لى احداها ، حينئذ سأجيبك على سؤالك عن طريق العلى ، وأعلمك لماذا صار الشر فى القلب » فقلت له : « تكلم يا سيدى »

فقال لى : « زن لى مثقالا من النار ، وكيل لى كيلا من الريح ، وأعد لى يوم أمس الذى عبر » فأجبته قائلا : « ومن

هو من جميع ابناء البشر ، المولودين على الارض يستطيع ذلك حتى تسألنى انا عنه !!! » .... فاستمر قائلا : « ان كنت اذن لم تقدر ان تفهم الامور التى نشأت معك ، فكيف لقدراتك المحدودة ان تفهم طرق العلى ؟ ان الانسان يفسد ويفنى بفساد الدنيا ، لا يمكنه ان يعرف الأشياء غير الفاسدة ويفهم سبل الذى لا يحاط به علم » فلما سمعت أنا هذا ، سقطت بوجهى على الارض وقلت له : « كان خير لنا لو لم نكن بالجملة من ان نحيا اياما ونتعب ، ولا نعلم لماذا تعبنا .. لماذا اعطيت لى موهبة التفكير والفهم ؟ ولست اسألك عن تدابير السمائيين ، بل عن حياتنا اليومية وما يحدث فيها امام أعيننا .... ونحن نعبر الدنيا مثل جراد الحقل ، وحياتنا تضمحل كالبخار ، وصرنا كمثل من لا يستحقون رحمة . ولكننا نحمل اسمك ، فماذا نفعل من اجل أسمك القدوس الذى دعى علينا ؟ »

فاجابنى (الملاك) : « انك ان عشت سترى ، وان بقيت زمانا طويلا ستعجب . لأن هيئة هذا الدهر ستزول سريعا ، ولا يستطيع أن يدوم لأجل مواعيد الله للأبرار ، ومجازاته الصالحين . لأن هذا الدهر ملىء بالاحزان وبأوجاع القلب . وقد زرع فيه الشر الذى انت تسأل عنه وتفحص ، ولكن موعد حصاده لم يأت بعد . فحتى يحصد محصول الشر كما غرس ، وتتطهر الارض التى زرع فيها ، وقتئذ يظهر الصلاح . لأن بذرة من زرع الشرير زرعت فى قلب آدم فأثمرت هذه الثمار الشريرة الرديئة الكثيرة . وما زالت تثمر حتى الآن الى أن يأتى أوان الحصاد . فتفطن الآن فى ذلك ، كيف أن بذرة رديئة زرعت ، كم من شرور ونفاق كثير أثمرت ، فكم بالحرى حينما يزرع سنبل البركة والخير . اما يصنع حصادا كثيرا عظيم البركة مضاعفا ، ويخزن فى أهراء العلى ؟ »

فسألت : « ولكن متى ، وحتى متى ننتظر ؟ ولماذا تكون حياتنا هكذا قصيرة ورديئة ؟ »

فأجاب : « هل أنت عجول فى هذا الامر أكثر من العلى ؟ انك تريد التعجيل بذلك لأجل ذاتك وحدك ، فأما العلى فصنع ذلك للجمع الكثير . أليس هذا هو نفس السؤال الذى سألته انفس الصديقين وهم فى منازل النور التى جمعوا فيها قائلين : حتى متى نمكث هنا ؟ ومتى يكون زمان الحصاد لتأخذ مكافئات اتعابنا ؟ فأجابهم رئيس الملائكة اناتيل بهذه الاجابة الى ان يكمل العبيد ورفقائكم الذين يماثلونكم . لان الرب قد وزن الدنيا بالمثاقيل ، وقد أحصى كل الازمنة والاوقات ، فلا يقوم أحد من الراقدين ، ولا يتحرك أحد الى ان تكمل عدة الاوقات التى حددها العلى .

من الاصحاح الخامس ...

فأما من جهة علامات الازمنة فهوذا أعرفك انه ستأتى ايام سيتملك الفزع على سكان الارض . ويختفى طريق الحق عن النظر ، وتكون الارض عاقرة فى الايمان . ويكثر الظلم والشر أكثر مما ترى الآن ، واكثر مما سمعت . ويكون الطريق صعبا وغير مسلوك ، ويكثر الوعظ والنبوة ، ويتكبر سكان الارض . والمملكة التى تراها تحكم الآن الارض ، ستكون صحراء قاحلة وتطرح مهملة ليراها الجميع . بعد الفترة الثالثة (ان أطال الله عمرك) سترى أضطرابا فى كل مكان فتسطع الشمس فجأة فى منتصف الليل ، والقمر فى وقت النهار . ويقطر الخشب دما ، وتتكلم الاحجار ، وتتزعزع الشعوب ، وتتغير مسارات النجوم . ويملك من لم يخطر على بال سكان الارض . ويتباعد الطير من اماكنه . ويطرح بحر السدوميين (البحر الميت) سمكا ، وفى الليل

يرن صوت غير معروف لكثيرين ولكن يسمعه الجميع ، وتنشق الاخاديد فى اماكن كثيرة من الارض ، وتقذف لهبا بلا انقطاع . وتنتقل الوحوش الكاسرة من اماكنها . وتلد النساء خلائق مشوهه ، الينابيع العذبة تخرج ماء مالحا . وفى كل مكان اصدقاء يحاربون أصدقاءهم محاربة . فى ذلك الزمان تختفى المعرفة ولا توجد ، والحكمة تذهب الى مخادعها ويطلبها كثيرون ولا يجدونها ، وتعم الرذيلة والاثم على الارض وتسأل البلاد بعضها بعضا ، هل عبر العدل بكم ؟ او هل بك صديق او احد بار ؟ فتخجل تلك الكورة وتقول : لا . وتكثر آمال الناس فى تلك الايام ، ولكنهم لا يبلغون ، ويشتاقون ويجهدون ويضطربون بلا طائل فهذه هى العلامات التى امرت ان اقولها لك .

فقلت له : « ان وعود الله هى حق ، ومؤكدة يا سيدى ، ولكنها ستكون للذين سيكونون عائشين فى النهاية ، ولكن ما هو مصير الذين عاشوا قبلنا ، ومصيرنا نحن ، ومصير الآتيين من بعدنا ؟ »

فقال لى : « اننى اشبه الدينونة بدائرة ، الذين يأتون فى النهاية لا يتأخرون ، والذين أتوا فى البداية لا يسبقون » فاجبت على هذا : « يا رب ، لأى شىء لم تجعل من هم فى الماضى والحاضر والمستقبل يكونون فى زمن واحد ، كى تكون الدينونة سريعة ، ويظهر الحكم دفعة واحدة ؟ » ولكنه اجاب « ان البرايا المخلوقة لا تقوى على سرعة الاشياء اكثر من الخالق . ولا تقوى الدنيا على اجتماع كل الناس عليها دفعة واحدة »

من الاصحاح السادس ...

فقلت : « مولاى وسيدى ، ان كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فأعلمنى بأى شىء تتعهد خليقتك ؟ » اجابنى قائلا :

« ان الخليقة من البدء كانت من أجل الانسان ، وأما اخيرا فهى من اجلى . لقد خلقها الله ولا حاجة بعد اليها ، بل تفضلا منه عليها ؛ ولما رآها اخيرا قد فقدت الحياة الابدية ؛ تعاهدها من اجل اسمه خاصة ، لا بأعمال بر عملناها ، بل خلصنا مجانا لمجد اسمه القدوس ... »

فقلت : « مولاى وسيدى ، ان كنت قد وجدت نعمة فى عينيك . اظهر لعبدك كمال الايام التى تقدمت التى اخبرتنى بجزء منها فى الليلة الماضية » فاجابنى قائلا : « قم وقف على قدميك . فتسمع صوت مدوى ، ويتزلزل المكان الذى انت فيه . فلا تخف انت ، لان الارض ستسمع معك الصوت الذى يماثل الآخرة والانقضاء وتفهم المعنى بأن القول لها خاصة . فتضطرب اساساتها وتتزلزل لعلمها بأن هيئتها ستزول ، وسوف يكون لها انقضاء » فلما سمعت هذا منه قمت ووقفت على قدمى ، فسمعت واذا صوت يتكلم كمثل مياة كثيرة . وكان ذلك الصوت يقول :

« ستأتى أيام يقول الرب ، ابتدىء فيها ان افتقد الذين على الارض اقترب الزمان الذى فيه اطلب شر الاشرار وظلم الظالمين ... الوقت الذى يختم فيه على الزمان فلا يعبر . حينئذ تكون هذه العلامات تفتح الاسفار فوق جلد السماء وينظرها الجميع فى وقت واحد ، ويتكلم الاطفال وهم ابناء سنة واحدة ، والحبالى يلدان خلائق ممسوخة والاطفال يحبون ويجرون وهم ابناء ثلاثة اشهر . وتقفر الحقول الخصيبة ، والمخازن الممتلئة تفرغ فجأة . ويصوت البوق فيسمع صوته بغتة عند الجميع ويضطرب الكل . وفى ذلك الزمان يقاتل الاصدقاء بعضهم بعضا كما يقاتل العدو عدوه ، وتفرغ الارض وكل الساكنين فيها . وتتوقف الينابع الجارية ولا تنبع لمدة ثلاث سنين . والذين يبقون بعد كل الذى سبقت فقلته سينجون ويعاينون

خلاصي وانتهائي لهذه الدنيا . سيشاهدون هذا كله ؛ اولئك الذين سيختطفون الى السماء دون أن يذوقوا الموت . ويتغير قلب الذين على الارض . وينتقلون الى أفكار أسمى لأن القلب الشرير يذهب عنهم ، ويمحى الشر ، وينطفىء المكر ، ويقهر الموت ، ويعرف الحق ، ويضيء فيهم الايمان المستقيم ؛ ويغلبون الفساد ، ويظهر البر الذى لم يكن مثمرا طوال السنين الماضية »

وحينما كان الصوت يكلمنى ، بدأت الارض تهتز .

الاصحاح السابع ...

فلما فرغت من هذا الكلام ، ارسل الى الملاك وقال لي : « قم يا عزرا ؛ اسمع الكلام الذى اتيت لكى اعلمك به » فقلت : « تكلم يا سيدى » فقال لى : « تصور بحرا واسعا جدا جدا مترامى الاطراف ؛ ولكن الدخول اليه يكون ضيقا جدا كخلق النهر . فان اراد أحدهم الوصول الى هذا البحر كي يلقى عليه نظرة ؛ لا يمكنه ان يصل الى مياهه الشاسعة الا عبر هذا المضيق . أو تصور مدينة مبنية فى سهل خصيب اخضر ، ممتلئة من كل الخيرات ؛ ولكن لا سبيل للدخول اليها الا عبر جسر ضيق لا يطأ عليه الا بقدر قدم انسان . النار عن يمين هذا الجسر ، والماء العميق عن يساره ولا يوجد سوى هذا المسلك الواحد بين النار والماء ، وهو لا يتسع الا لانسان واحد فى وقت واحد . فان أعطيت هذه المدينة لانسان كأرث شرعى له ، فكيف يمكنه أن ينال حق ملكيتها الا بعبوره هذا المسلك الخطير ؟ »
فقلت : « هذا هو الطريق الوحيد يا سيدى »

فقال لي : « وهذا هو طريق شعب الله ، لأنى من أجلهم خلقت هذا العالم ، وعندما خالف آدم وصاياى ، وقع الانقسام فى الخليقة . وصار الدخول الى هذا العالم ضيقة

ومملوءة بالتنهدات والاتعاب والضغطات والامراض والمناقص وصعوبات وآلام كثيرة متشعبة جدا . واما الدخول الى الحياة الفضلى فهو رحب ومأمون ويقـــود الى الخلود . فيتحتم على جميع الناس ان يدخلوا الى هـــذا الوجود الضيق الذى بلا نفع ؛ والا ، لا يمكنهم ان يبلغوا البركـات المحفوظـة . وانت يا عزرا ، لماذا اضطربت اعماقك امام الفـــكر بانك فانى ويجب ان تموت ؟ لماذا لم تفكر فى المستقبل بدلا من الحاضر ؟ » فقلت له : « مولاى وسيدى ، لقد وضعت فى ناموسك ان البار هو الذى سينعم بهـــذه البركات ، واما الشرير فسيهلك . فيمكن للبار اذن ان يتطلع الى الخيرات المعدة فيصبر على ضيق هـــذه الحياة ، ولكن الذين عاشوا حياة آثمة سيعبرون الى الاضيق دون ان يهنأوا بالعيش لا هنا ولا هنـــاك »

فقال لى : « انك لست أعدل من الله ولا أحكم من العلى . الأفضل ان كثيرين من الذين يعيشون الآن يهلكون ، عن ان يحتقر ناموس الله الموضـــوع امامهم ! لأنى أعلم أن الذين ضيعوا الوصية يهلكون ، الذين لم يعرفوا الله يتلفون . لأن الله قد بين بوضـــوح لكل البشر حين مجيئهم الى الدنيا ، طريق الحياة كى يتحفظوا بكل تحفظ ، وبين كيف لا يموتوا ويتعذبوا الى الابد . ولكن الاثمة لم يسمـــعوا ، وخالفوا ناموسه ، واختاروا لهم أفكارا باطلة ، واتخذوا لهم رذالة المخالفة ، ومـــع هذا قالوا ان العلى ليس موجودا وليس بكائن ، وانكروا وجـــود الخالق ولم يعرفوا طرقه ورفضوا ناموسه ، وداسوا عهده ، ولم يؤمنوا بشرائعه ، وطرحوا عنهم وصاياه . من اجل هذا اسلمت الآثمين للأباطيل ، والملتويين للكاملين .

اسمع يا عزرا : الفراغ للفارغ ، والملء للممتلىء

هوذا يجىء زمان ، وقد قرب الآن حين تتم هذه العلامات

التى قلتها لك ، فتظهر المدينة (العروس) المخفاة الآن وتستعلن الامة التى لم تظهر بعد . وكل من حفظ من الشرور التى ذكرتها سيرى بنفسه اعمالى العجيبة . سيظهر ابنى المخلص مع رفاقه ويمنح سعادة للبقية التى بقيت ، ولكل الذين سيعيشون . ثم يرجع الدهر الى سكونه الاول سبعة ايام كما فى ابتداء الخليقة ويكمل كل من فيه نسمة الحياة حتى لا يتبقى ولا واحد . ومن بعد السبعة الايام يظهر العالم العتيد أن يكون ، الذى لم يخطر على فكر بشر ، وتنهض العصور التى كانت نائمة حيث يضمحل الفساد . حينئذ تتزلزل الارض . وتسلم الراقدين فيها ، والتراب يخرج الذين أستودعوا عنده بسكون ، وتخرج الاهرام من فيها والمخادع الخفية تسلم الانفس المودعة فيها . حينئذ يترائى العلى جالسا على كرسى القضاء . لأن الدنيا تكون قد انقضت ، ووافى الفناء ، وتنتهى الرحمة والامهال ولا يبقى سوى العدل وحده ، ويثبت الحق ، ويقوى الايمان والبر ، وتبدأ المجازاة ، ويأخذ كل واحد اجرته علانية ، فتظهر اعمال الصديقين ، وتنكشف اعمال الشر والاثم ولا تستطيع أن تستتر .

وينظر جميع الناس مساكن النياح ، وفردوس النعيم والفرح . كذلك ينظرون عمق جحيم النار . فيقول العلى للأمم الذين قاموا من الاموات : انظروا وافهموا من هو الذى جحدتموه ، ومن هو الذى لم تتعدوا له ، ومن هو الذى اختقرتم وصاياه . انظروا الى هذه الناحية ثم الى تلك . هنا النياح والفرح ، وهناك النار والعذاب . هذا ماسيقال لهم فى يوم الدينونة .

فى ذلك اليوم لا تكون شمسا ولا نور ، ولا قمر ولا نجوم ، ولا سحاب ولا رعد ، ولا ريح ولا برق ولا ماء ولا هواء ولا ظلمة ولا مساء ولا وصباح ، ولا صيف ولا ربيع ولا شتاء . لا حرارة ولا صقيع ولا برد ولا مطر ولا ندى ولا برد . لا ظهيرة

ولا ليل ولا فجر ولا ضياء . سوف لا يكون هناك سوى نور مجد العلى الذى به سيرى البشر كل شىء أمامهم وتكون الدينونة سبعون سنة . هذا هو الترتيب الذى قد عينته للدينونة . وها قد أعلنته لك وحدك » .

فقلت : « يا رب اننى أكرر ما قلته من قبل ، طوبى الذين يعيشون وهم حافظون وصاياك التى سننتها ! ولكن من جهة الذين اصلى من أجلهم ، هل هناك انسان يعيش ولا يخطىء ابدا ؟ هل هناك انسان لم يتعد عهدك على الاطلاق ؟ فعلى ما ارى ، ان قليلين هم الذين سينالون الفرح والنعيم الذى للدهر الآتى ، وكثيرة هى مواضع العذاب وكثيرون هم الذين سيصيرون اليها . لأن الشرير قد ملأ قلوبنا بهذه لشرور جميعا وغربنا عن طرق الله وقد اضلنا واطغانا وقادنا الى الهلاك ، وعلمنا طريق الفساد والموت ، وابعدنا عن طريق الحياة ولم يصنع الشرير هذا مع قلة قليلة ، بل مع كل الخليقة تقريبا » .

فاجابنى الملاك : « اسمع يا عزرا ، واصغ الى لأعطيك علما أوفر ، وأصحح فهمك . هذا هو السبب الذى من اجله خلق العلى ليس عالما واحدا بل اثنين . انت تقول ليس الكثيرين ابرارا بل القلة فقط . فى حين ان الاشرار هم الغالبية فأسمع الاجابة اذن ، ان أكتنزت لنفسك قليلا من احجار الجوهر الفائق ، فهل تزيد عددها ان خلطت معها رصاصا وخزفا ؟ » فقلت : « لا يا سيدى ، لا يمكن » فقال لى : « تكلم الى الارض وسلها باتضاع فهى تعلمك . قل لها انك تنتجين ذهبا وفضة ونحاسا وحديدا ورصاصا وفخارا ، وهوذا الفضة اكثر من الذهب ، والنحاس اكثر من الفضة ، والحديد اكثر من النحاس ، والرصاص اكثر من الحديد ، والفخار اكثر من الرصاص . فميز انت من ذاتك ما هى الاشياء الثمينة المشتهاة ، هل الكثيرة ام النادرة ؟ » فقلت : « مولاى

وسيدى ، ان الاشياء الكثيرة هى الارخص ، وكلما ندر الشيء كلما علت قيمته » . فقال لى : « فافهم من هـذا من ذاتك ، ان الذى يملك هـذا القليل النادر فانى افرح به اكثـر من الذى له ذلك الكثير الرخيص : وقـد وعدت بالدينونة منـذ بداية الخليقة ، فانى سأفرح بالقلة التى تخلص لانهم اعلنوا مجـدى وشهدوا لأسمى ، وليس لى هوى فى هلاك كثـرة الخطاة حين يهلكون فى الجحيـم وحريق النار ، ويصيرون دخانا فى العذاب رغم كونهم مستحقون الاستئصال . انهم سيحترقون وتتأجج نيرانهم ثم تخبو وتموت .

حينئـذ قلت : « أيتها الارض ماذا ولدت ! هل عقـل الانسان مثل باقى الخلائق ؟ كان الافضـل للتراب لو لم يخلق البتة ، وهـكذا لا ينتج عقل الانسان ! ولكن لأننا ننمو بقوة الفكر ونعذب به أيضا ، لأن مصيرنا هو الى الموت ونحن نعرف ذلك . فيا للأسى على الجنس البشرى ، ويا لسعادة الوحوش والبهائم . يا لشـقاء مولود المرأة ، ويا لفـرح الحيوانات والعجماوات ! انهم افضـل منا جدا ، لانهم لا يتوقعون دينونة ولا يعرفـون تعذيبا ولا خلاصا بعـد الموت . ما فائدة وعد الحياة الاخرى لانسان سيعذب فيها ؟ لأن كل انسان معجون بالخطيئة ، وممتلىء بالاثام ويخطىء متعمقا فى الشر أكثر فأكثـر . فكان خـير لنا لو لم نكن فى العالم البتة ان كنا من بعد الموت نساق ايضا الى الدينونة »

فأجابنى الملاك : « عندما خلق العلى هـذا العالم ، وآدم وكل نسله ، دبر الدينونة من البـدء وكل ما يتم فيها وكلامك الذى قلته بأن الانسان ينمو بقوة الفكر ، هو يرد عليك . ان اهل العالم قد اخطأوا بضمير واعى ، ومن أجل هـذا فان العذاب ينتظرهم ، لقـد اخـذوا الوصـية ، ولكنهم لم يحفظوها ، لقد قبلوا الناموس ولكنهم تهاونوا به ، وأقاموا لانفسـهم ناموسا مضادا فتباعدوا عن الحق رغم أن عندهم

موهبة العقل ، الراس المدبر . لذلك هم بلا عذر ، ولا يستطيعون أن يقدموا حجة واحدة فى يوم الدينونة ، ولا جوابا فى اليوم الاخير . يا لطول اناة الله وأمهاله على جنس البشر ! انه يطيل روحه ليس فقط لكى يتوبوا ، بل لأجل الزمان المحدد كمثل قوله »

فقلت له : « ان كنت قد وجدت نعمة فى عينيك ، فأعلم عبدك كلمة واحدة اسألك عنها فى لحظة الموت ، حين يسلم كل منا نفسه فهل تلبث النفس بلا نعيم حتى الزمن الموقوت ؟ ام تتنعم بعد خروجها من البدن حتى تبدأ فى ان تخلق عالمك الجديد ، أم ترى عذاباتنا تبدأ على الفور ؟ »

فأجابنى الملاك : « انا اعلمك بهذا ايضا ، ولكن لا تخلط نفسك مع العصاة الذين سيعذبون . لأن العلى قد حفظ لك كنزا من الاعمال الصالحة ، لا يظهر لك الآن ، بل فى كمال الزمان . فأما من جهة موضوع الموت ، فانى اعلمك بانه اذا خرج الحكم النهائى من العلى ، وأمر أن يموت انسان ، فان الروح تترك الجسد وتعود للذى اعطاها . وقبل كل شىء تسجد وتسبح لمجد الله العلى . فان كانت ممن عصى ، وتهاونت بطرق العلى واحتقرت ناموسه ، وكانت كارهة لكل خائفى الله ، فان تلك النفس لا تترك فى المساكن النورانية ، بل تكون هائمة بلا استقرار وهى فى عذاب وحزن وألم وهم ينوحون فى عظم وجع قلب لسبعة اسباب :

اولا : لأن قلوبهم لم تذعن للسلوك فى سبل العلى .

ثانيا : لانهم فقدوا اخر فرصة ليصنعوا توبة صالحة ينالون بها الحياة .

ثالثا : عندما يشاهدون ثواب الصالحين الذين صدقوا وعود الله العلى .

رابعا : نظرهم الى عذابهم المعد لهم فى الآخرة .

خامسا : نظرهم الملائكة وهم يحرسون موضع النفوس الاخرى فى سلام وطمأنينة .

سادسا : انهم يذوبون من وجع القلب لاجل خوف القائهم فى العذاب .

سابعا : وهو أقوى سبب مما سبق ، هو رؤيتهم الله العلى فى مجده . فانهم يلوون وينحنون خزيا وتصر أسنانهم من الندامة ، وتأكلهم الفضيحة ، ويكونون فى وجع وخوف دائم حين يرون مجد الله متباعدا عنهم وهم قد افنوا حياتهم فى الخطايا . ويبقون كمدين معبسين خائفين ، لأن مصيرهم بعد ذلك هو العذاب الدائم .

فأما المحفوظون بوصايا الله ، فى الطريق المسلم لهم من العلى ، فحين خروجهم من هذا الجسم الفاسد الفانى حيث مكث زمانا يعبد الله باهتمام ومواظبة رغم الصعاب والمخاطر الدائمة ، وحفظوا كل حرف من أحرف الشريعة الإلهية فأول عزائهم انهم ينظرون مجد العلى عندما يأخذون منه المكافأة . ومكافاتهم على سبعة سبل (أوجه) :

فرحهم الاول : هو من أجل انتصارهم فى الحرب الطويلة ضد ضغطة الشر المولودين بها ، والتى فشلت أن تضلهم حتى يميلوا من الحياة الى الموت .

وفرحهم الثانى : نظرهم انفس الاشرار وهى هائمة فى عذاب النار ، وانهم قد فلتوا من العقوبة .

وفرحهم الثالث : هى الشهادة الحسنة التى شهدها لهم خالقهم انهم طوال حياتهم قد حفظوا الناموس الذى اودع لهم بالايمان .

وفرحهم الرابع : انهم يعيشون بلذة النياح وطيب القلب من تلك الساعة ، والراحة التى هم مزمعون أن يدخلوا اليها ، والتى سينالونها مع محفل الملائكة فى مجد وكرامة .

وفرحهم الخامس : لأن الفساد قد بعد عنهم من الآن ، وقد استعدوا لميراث الحياة الابدية ، ويشاهدون ما لم تره عين ، وكيف أن الطريق الضيق والاتعاب التى قبلوها قد اوصلتهم الى الحرية والحياة ونالوا عدم الموت دائما مؤبدا .

وفرحهم السادس : عندما يعلمون ان وجوههم منيرة كالكواكب اللامعة التى لا تخبو ولا تضمحل كضوء الشمس فى قوتها .

وفرحهم السابع : الذى يفوق كل فرح آخر ، انهم يكونون متهللين مبتهجين دائما حين ينظرون مجد الله الذى لا يشبع منه ، ينظرونه ووجوههم لا تخزى ، لانه هو الذى خدموه وكانوا يعبدونه . وسيحيون مع الذى هو عتيد أن يمجدهم ويعطيهم المجازاة . هذه هى درجات الكرامة الصائرة لنفوس الصديقين ، واسباب العذاب الدائم للاشرار كما وعدوا به تماما .

فسألت وقلت : « وهل تعطى النفس بعد خروجها من الجسد ان ترى الذى عرفتنى به ؟ »

فقال لى : « تكون النفس طليقة لمدة سبعة أيام وترى كل ذلك ، بعدها تجمع الى مواضعها حتى انقضاء الاجل »

فقلت : « انها وجهة نظرى ، دعنى أقول هذه الكلمة التى عندى أولا وآخرا . يا ليت الارض لم تنجب آدم على الاطلاق ، وان كانت قد أوجدته يا ليته منع من أن يخطىء ! لانه ماذا ننتفع الآن ان كنا نعيش فى بؤس ، وفى النهاية نتوقع ان نعاقب بعد الموت ؟ آه يا آدم ، ماذا صنعت ؟ ان خطيئتك

لم تقع عليك وحدك ، لقد كانت سقطة لنا جميعا نحن ذريتك . ما فائدة وعد حياة بلا موت لنا ، ونحن نصنع الاعمال المائتة . وما قيمة رجاء الابدية ونحن نعمل الاباطيل ، وفى حالة شر ونجاسه ؟ وما قيمة مساكن الراحة العلوية ، ونحن أفنينا حياتنا فى أعمال اثيمة . ان مجد العلى سيحفظ اولئك الذين عاشوا حياة نقية ، ولكن ماذا ينفعنا نحن وسلوكنا كله شر ؟ وما قيمة استعلان الفردوس وثماره غير الفاسدة ، ونعيم الخلاص والمسرة التى فيه ، ونحن نطرد عنه ولا ندخله لأننا قد تشاغلنا بأعمال رديئة . وتضىء وجوه المجاهدين الذين دربوا ذواتهم فى البر — كمثل كواكب السماء ، وأما وجوهنا فتكون كالحة معتمة ومظلمة اكثر من سواد الليل . لأننا طوال حياتنا الشريرة لم تخطر على بالنا العذابات التى تنتظرنا بعد الموت »

فأجاب الملاك : « هذا هو الفكر الذى يجب ان يكون فى ذهن كل انسان اثناء جهاده على الارض ، ان فقده عليه ان يقبل العذابات التى ذكرت . أما ان غلب فكل المكافأة التى وصفتها ستكون له . فان هذا هو الطريق الذى أوصى به الشعب حينما قال اختر الحياة فتحيا . ولكنهم لم يؤمنوا به ، ولا صدقوا الانبياء الذين اتوا بعده ، ولم يجيبونني أنا حينما كلمتهم ، فلذلك لست احزن اذا هلكوا . لكنى كنت اود لو أنهم أجابونى ودخلوا الحياة . لأنه لا يشعر بفرح الخلاص الا أولئك الذين قد آمنوا بي » .

فقلت له : « الآن علمت يقينا أن الله العلى يسمى الرؤوف الحنان ، لأنه يرحم الذين لم يكونوا موجودين البتة وهو متحنن عندما يقبل التائبين اليه والراجعين اليه بكل قلوبهم ليحفظوا ناموسه . وهو متمهل طويل الاناة ، لأنه اطال روحه على الذين أخطأوا بأعمالهم . وهو منعم ، لأنه يؤثر العطاء عن الاخذ . وهو غنى فى المغفرة ، لأنه يغفر

للخطاة مرة بعد مرة ، كل الخطايا الماضية والحاضرة والآتية . فانه بدون غفرانه المستمر ، لما كان هناك اى رجاء الحياة فى الدنيا لكل الساكنين فيها . وهو كريم ، لأنه بدون كرمه فى تحرير الخطاة من خطاياهم لما ترجى وعد الحياة واحد من ربوة من البشر . وهو حاكم عادل ، لا يأخذ بالوجوه ، لأنه لو لم يسامح ويتجاوز عن ضعفات الذين خلقهم ، ويمحو كثرة تعدياتهم فأعتقد انه من الجنس البشرى كله لا ينجو سوى القليل .

من الاصحاح الثامن ...

فأجابنى الملاك قائلا : « لقد خلق العلى العالم الحاضر لكثيرين ، اما العالم العتيد فهو لقليلين . وانا أوضح لك يا عزرا معنى هذا بمثل ، سل الارض فتخبرك انها ولدت طينا كثيرا ومنه يصنع الخزف ، ثم اخرجت تبرا قليلا ومنه يصنع الذهب . وهكذا أعمال هذا الدهر كثيرة ولكن قليلين هم الذين يخلصون » فقلت فى نفسى يا نفسى تفكرى فى كل ما سمعت وتفهميه جيدا . لتسمعين وتسلكين فى التوبة على مرتبتك ، فان الذى يفلت من الموت القليل .

صلاة عزرا قبل ان يؤخذ الى السماء

« ايها الرب ساكن الابد ، يا من لك السموات وكل ما فى الاعالى . الذى لا يمكن تصور عرشه ، ومجده لا يدرك ورحمته على كل شىء ، ورافاته لا تحد . جنود ملائكتك قيام بين يديك برعب وخوف ، وهم نار وروح . كلمتك ثابتة وهى حق وصدق ، واوامرك نافذة مسلطة ، ونظرتك تجفف امامها الاعماق . يا من غضبك يذيب الجبال ، وعدلك ثابت لا يزول . آه يا رب . اسمع صلاة عبدك

واصغ الى تضرعى فانى اتكلم ما دمت حيا ، واجيب ما دام يوجد فى فكر . لا تؤاخذ شعبك بخطاياهم وزلاتهم ، بل انظر للذين تعبدوا لك بالصدق والبر ويحفظون وصاياك بعناء وتعب وشخوص اليك ، ولا تضع قلبك على سبل الاثمة . لا تفكر فى اولئك الذين كانوا طوال حياتهم غير مخلصين لك ، وصنعوا الاباطيل امامك ، وعاشوا بالبذخ . بل اذكر العارفين مخافتك فى باطنهم . لا تهلكنا من اجل الذين عاشوا كالحيوانات والبهائم ، بل انظر الى الذين فحصوا نور ناموسك . لا تغضب علينا من اجل من هم اردأ من الوحوش الكاسرة ، بل اظهر حبك للذين آمنوا بمجدك بالادمان وتوكلوا عليك وحدك يا الله . فاننا نحن وآباؤنا قد عشنا فى خطايا مميتة ، ولكن رجاؤنا هو فى انك تسمى الرحوم . اننا لم نفعل الصلاح امامك ، ولكن ان شئت ، اقتنينا لك يا الهنا المتحنن نحن شعبك . لأن اعمال الصديقين الصالحة التى تجازيهم عنها كلها من عندك فمن هو الانسان يا رب حتى تسخط عليه ؟ او جنس الزائلين حتى تعاملهم بكل هذا السخق ؟ لا يوجد نبى لم يخطىء امامك ، ولا مخلوق لم يأثم . ولكن بهذا يظهر صلاحك يا رب عندما ترحم القوم المذنبين الكافرين » .

فقال لى الملاك : « لقد تكلمت بالصواب ، وكمثل قولك كذلك يكون . ولكن تاكد اننى اهمل الخطاة ، وقد رفضتهم سواء فى خلقتهم او موتهم او دينونتهم . بل انا اسر بالابرار فى خلقتهم ورحيلهم من هذا العالم ، وخلاصهم ، ومجازاتهم فى النهاية غير ذاكر ذنوب من اذنبوا وتابوا وحفظوا وصاياى . هكذا قلت وهكذا يكون . وكما أن الفلاح يبذر بذارا كثيرة ، ويغرس غروسا شتى فى الارض ، ولكن لا تنمو جميع البذار فى زمانها ، ولا تمد بعض الغروس جذورا ، هكذا ايضا ليس كل من خلق فى هذه الدنيا يثمر كما يجب» .

فقلت له : « ان كنت قد وجدت نعمة فى عينيك ، فاذن لى أن اتكلم ، ان زرع الفلاح قد يتفق فيه شىء لا يكبر او لا ينبت ، او لا تأتى عليه الامطار فى اوقاتها . او يتلف بعلل كثيرة . فأما الانسان الذى خلقته يداك وماثلته بصورتك، لانه على شبهك. الذى من اجله خلقت كل شىء ، أتشبهه بالبذار التى يلقيها الفلاح فى الارض ؟ لا يا رب ، أيها الساكن فى الاعالى . اشفق على شعبك ، وتحنن على ميراثك ونج خليقتك ، لاننا جبلتك يجب ان ترحمنا » .

فاجابنى الملاك : « ان الزمان الحاضر يناسب الذين يعيشون الآن . أما المزمعات فهى ملائمة للدهر الآتى وانك لا تقدر ان تحب خليقتى حبا أعظم منى ، مستحيل ! ولكن لا تعد تحسب نفسك مع الائمة كما فعلت مرات عديدة . ولقد قبل العلى ذلك الاتضاع الذى اظهرته بانك لم تعادل نفسك بالابرار ، حتى لا يؤذيك فكر المجد ...

فى الايام الاخيرة ، سيعاقب سكان العالم على حياتهم المتكبرة بعذابات مرة . اما انت يا عزرا فوجه افكارك نحو ذاتك ، والمجد الذى ينتظر امثالك . لجميعكم قد فتح الفردوس ، وغرست شجرة الحياة ، واعد العالم العتيد ، وكل الغنى والوفرة مخزون لكم . لقد بنيت المدينة وتحتمت الراحة بعد التعب ، الخير والحكمة قد بلغا كمالها . قد انمحى صك الشر عنكم ، وانتم هناك ستكونون بلا مرض ويضمحل الموت ، ويهرب الجحيم ، ويزول الفساد تماما . تنتهى كل الاحزان ، ويستعلن اخيرا كنز الخلود . لا تسأل اذن اسئلة اخرى عن الكثرة الهالكة لانهم اعطوا الحرية فأستعملوها لاحتقار العلى ، وازدروا بناموسه واهملوا طرقه . نعم بل وداسوا بالاقدام على خدمة الابرار ، ولقد قالوا فى انفسهم : لا يوجد اله . وهم قد عرفوا يقينا انهم ينبغى ان يموتوا . فلأمثالكم انتم يا عزرا ستكون

الافراح التى أعددتها ، أما هم فنصيبهم العذاب المعد والعطش . ليس أن العلى قد أراد ان يهلك أحد ، ولكن لأن الذين خلقهم قد جلبوا العار على اسم خالقهم ، واظهروا نكرانا لله الذى وضع الحياة تحت تصرفهم .

أن يوم دينونتى قريب على الابواب ، ولكنى لم أجعل معرفة هذا للجميع . بل لك فقط ولقليلين مثلك . فأجبت : « يا سيدى ، لقد كشفت لى علامات كثيرة أنت مزمع أن تتممها فى الايام الاخيرة ، ولكنك لم تخبرنى متى سيكون هذا ؟ »

من الاصحاح التاسع ...

فاجاب الملاك : « انتبه انت وتحفظ لذاتك حينما ترى بعض العلامات التى سبقت واخبرتك بها ابتدأت أن تحدث حينئذ تدرك أن الوقت قد حان الذى سيدين الله فيه خليقته . عندما تسود على الارض الزلازل والقلاقل والاضرابات فتضطرب الامم ، وتكون الحكومات غير مستقرة والحكام فى فزع ، حينئذ تفهم ان العلى قد تكلم عن هذا كله منذ الايام الاولى . وكما ان كل شىء على الارض له بداية ، هكذا قد أوضح العلى نهايته المحتمة ، فعلامات بدايتها العجائب والمعجزات ، وأما علامات النهاية فهى استعلان القوة . فكل من آمن وكانت له أعمالا صالحة سيخلص ، وسيفلت من الهلاك ، ويحيا بعيدا عن المخاطر التى سبقت واخبرت بها . وسيكون شاهدا للفداء الذى أصنعه على الارض ، وفى وسط أمتى التى عينتها منذ الازل لتكون لى خاصة . أما الذين أحتقروا ناموسى فسيذهلون !! والذين رفضوا مخافتى سيعذبون بعذابات مستديمة لأنهم لم يعرفونى ليحيوا ويكون لهم الخير . جميع الذين حادوا عن ناموسى حينما كانت لهم الحرية ، ورفضوا باحتقار فكر

التوبة عندما كان باب التوبة لم يزل مفتوحا ، جميع هؤلاء ينبغي أن يتعلموا الحق عن طريق التعذيب بعد الموت . لا تكن فضوليا اكثر يا عزرا لتعرف كيف سيعذب الاثمة . بل ليكن اهتمامك كيف ومتى سيخلص الابرار ، فالعالم لهم ، وكل الموجودات من اجلهم » .

فقلت : « يا رب أنت قائل ان الذين سيهلكون اكثر من الذين سيخلصون ، كلجة المياه بالنسبة الى قطرة مطر »

فقال لي : « كما أن الارض تنبت أعشابها ، وتزهو بنباتها ، ويعرف كل نوع بزهره وورقه وثمره ، كذلك كل انسان سيعاقب بحسب أعماله . وكما يجمع الفلاح حصاد ارضه الى المخازن ، كذلك انا حاشر كل الخليقة الى الحياة الاخرى . وكما أن للفلاح اوان الزرع وأوان للحصاد ، كذلك جعلت هذه الدنيا للعمل والدهر الآتي للمجازاة لكي أعطي الذين حفظوا وصيتي ما وعدتهم به . سأنزل لهم مائدة من السماء لا تبيد ولا تتلف ليأكلوا عليها ويشربوا لأنهم حزنوا وتعبوا في حياتهم هذه الزائلة لأجل التمسك بشريعتي وتسبيح اسمي .

في تصميمي للعالم ، لم يكن احد يفسد خطتي ، لأنه لم يكن احد موجودا . ولقد ذودت هذا العالم بطعام لا ينفد ، وربطته بقوانين خفية متقنة ، ولكن الذين خلقتهم قد تحولوا الى حياة الفساد . فنظرت الى عالمي ، فاذ قد سرى فيه العطن ، وصارت ارضي مهددة بمخاطر افكار الانسان الشريرة . وعندما نظرت اشفقت وقلت ، ولو بقي في عنقود عنبي حبة واحدة سليمة والباقي قد تعطن ، فسأحفظها . ولو بقيت من كل الغابة شتلة شجيرة واحدة ، فسأنقلها وليهلك الباقي الذين ولدوا باطلا . وليكن الخلاص لحبة العنب ولشجيرتي ، التي بذلت فيها كل هذا المجهود كي تأتي الى الكمال .

الدخول إلى راحة الله

الاب يوحنا كرونستادت

وهو كاهن روسى ولد فى	١٩ اكتوبر سنة ١٨٢٩
ورسم كاهنا فى	١٢ ديسمبر ١٨٥٥
وتنيح فى	٢٠ ديسمبر ١٩٠٨

كان عنده موهبة الشفاء ، والتنبؤ ، وكان له تأثيرا روحيا عميقا على معاصريه بخدمته المتفانية ، ووداعته ، وكمال فضائله المسيحية .

الف كتابا بعنوان « حياتى فى المسيح » يتضمن ارشادات روحية غاية فى العمق وهذه هى ترجمة للباب الثانى عشر منه .

+++ ما هى أكثر الامور فزعا بالنسبة لك أيها الإنسان ؟ هل الموت ؟ حينما تتخيل اللحظة التى ستلفظ فيها النفس الاخير ، هل تحس بالرعبة تسرى فى أوصالك ؟

لا تخف يا حبيبى ولا ترتعب ...

فقد غلب المسيح موتنا بموته ، واعطانا عربون القيامة بقيامته ؛ اذ قد قام المسيح من الاموات وصار باكورة الراقدين . اننا فى كل يوم أحد نعيد لقيامة المسيح ، ونبتهج ونفرح برجاء قيامتنا نحن ايضا من الاموات ، ودخولنا الى الحياة الابدية . ان تقديسنا ليوم الاحد يحمل فى أعماقه سر خروجنا من شقاء وكرب العالم ، والدخول الى راحة الله .

+++ المسيحى الحقيقى لا ينظر الى المسوت الا بأنه رقاد ، نستيقظ منه يوم القيامة العامة حيث نولد الى حياة جديدة . وفى تقديسنا ليوم الاحد من كل اسبوع ، نقبل سريا موت الخطيئة من أعضائنا ، وقيامتنا الى الحياة الجديدة . لأننا ونحن نحتفل بقيامة المسيح ـ وقيامتنا نحن ـ فى أيام الآحاد ، فلنتعلم أن نموت باستمرار عن الخطيئة وننهض انفسنا من أعمال ميتة . لنثرى أنفسنا بالفضائل فى هذا اليوم المبارك .

وان كان أحد الاعزاء قد أنتقل ، فلا يجب أن نحزن . وان دعينا نحن لملاقاة الموت ، فلنتعلم أن نلاقيه بلا فزع كوصية أبينا السماوى الذى أبطل رعبة الموت بقيامة المسيح .

+++ انك فى بعض الاوقات ، تحت تأثير تجارب صعبة تطلب الموت لنفسك ـ على أية حال انها عملية لا تستغرق وقتا طويلا ...

ولكن ، هل انت مستعد للموت حقا ؟ تذكر انك ستحاسب

بعد الموت حسابا عسيرا عن حياتك كلها . الواقع انك غير مستعد للموت ، ولو حدث واتى اليك فانك تقشعر منه . لذلك كف عن هذه الاقوال الفارغة فانها هراء . لا تقل يا ليتنى اموت ! بل ابحث بالحرى كيف تستعد لملاقاة الموت بطريقة مسيحية : بالايمان الصحيح ، بأعمال صالحة ، او بأحتمال كل ما يأتى عليك بشجاعة . فانك بهذه الوسائل يمكنك ان تلاقى الموت بسلام وطمأنينة وفخر .

سوف لا تعتبر الموت آنذاك تخبطا عشوائيا من الطبيعة القاسية ، بل ستنظر اليه انه دعوة ابوية حنونة من الآب السماوى القدوس المبارك كى تدخل الى ملكوته الابدى .

+++ تأكد يا أخى ، ان حياة الانسان الارضية ليس لها أى فائدة سوى ان تعده لحياته الابدية التى سيحياها بعد الموت الجسدى . لذلك علينا ان نسرع فى انتهاز فرصة الحياة الحاضرة كى بها نعد انفسنا للحياة الآتية فان كنا فى أيام الاسبوع نعمل من اجل حياتنا الحاضرة ، فلنكرس أيام الآحاد والاعياد كى نعمل بكل طاقاتنا من أجل الرب الهنا .

+++ ان الشغل الشاغل للانسان المسيحى هو حياته المقبلة . لذلك فهو يسلك فى هذه الحياة كفترة اعداد للحياة الابدية . لا يهمه ما سيقوله الناس عن اعماله هنا . بل يهمه بالاكثر ماذا ستقول السماء عن هذه الاعمال ؟ انه يتخيل فى ذهنه دائما اللحظة التى سيقف فيها بين يدى الله فى حضرة الملائكة والقديسين ، ويسائل نفسه ترى بماذا سيشهدون على من جهة افكارى واعمالى وكلماتى ؟

+++ مستحقون كل ملامة من يهملون أن يعلموا انفسهم روحيا عن أمور الحياة الابدية والدهر الآتى . لانه كيف

يمكننا ان نتناسى مصيرنا النهائى ؟ وكيف نتجاهل تدابير الله من أجلنا ؟

لقد خلقنا على صورته ومثاله ، بلا فساد
وقصد خلقته لنا هو الاتحاد به
وهو الذى فدانا على الصليب
وفتح لنا أبواب ملكوت السموات .

فكيف يهمل البعض هذه المعرفة ، ويكونون مثل البهائم التى تباد ؟ (مز ٤٩ : ١٢ ، ٢٠) لنرفع يا اخوتى افكارنا من الارض ونعلو بها الى فوق !

+++ يا لها من حقيقة مخيفة ! ان الخاطىء غير التائب بعد أن يموت يفقد كل امكانية التحول الى الخير .

بل يسلم الى عذابات ابدية لا تنقطع (لان الخطيئة لا يمكنها الا ان تعذب كل من وقع تحت عبوديتها) وقد ثبت هذا عمليا بالنسبة الى بعض الخطاة هنا على الارض ، حينما تذلهم الخطيئة وتغلق عليهم فى سجن عذابها وتوصد دونه كل أبواب الهرب .

+++ ان فرصة عمل النعمة معنا هى فى هذا الزمان الحاضر فقط . بها نستطيع ان نرجع الى الله حتى لو كانت وثاقات الخطيئة قد ربطت أيدينا فى أرجلنا . فالنعمة هى التى تحرر انفسنا من ظلمات الخطيئة .

اما بعد الموت ، فلا يتبقى لنا سوى صلوات الكنيسة . وهذه الصلوات لا تؤثر الا فى حالة الخطاة التائبين فقط . اى القادرين على تقبل الرحمة الالهية . مثل هؤلاء ممكن أن يستفيدوا من صلوات الكنيسة على ضوء الاعمال الصالحة التى اخذوها معهم من هذه الحياة .

اما الخطاة غير التائبين فقد هلكوا بلا شك .

الحياة الابدية

+++ ان فتـــرات النهار ترمـــز الى حياتنا الارضية الوقتية . فالظهيرة تأتى بعـد الصباح ، ويعقبها المســاء ثم يجىء الليل حينما يعبر كـل النهار .

هـكذا الحياة تمـــر : فالطفولة هى الصـــباح الباكر ، والشـــباب هو الضحى ، والرجـولة هى كمال ظهيرة نهار الحيـاة ، واخـــيرا تميـل شمس الحياة نحـــو المغيب فى الشـــيخوخة ، وبعد ذلك يتحتم مجىء الموت .

+++ لتكن نظرتنـــا الى العالم كما الى ظلال عابرة ، ولا نـــعلق قلوبنـــا على اى شىء ممـــا فى العـــالم . لا يبهرنك اى شىء فى العالم ، ولا تعتبر اى شىء عظيما على الارض ، ولا تلق رجاءك على اى شىء هنا . تعلق بالواحـد الابدى غـير المنظور . الاله الوحيد الحكيم :

ونحن غـــير ناظرين الى الاشياء التى ترى بل الى التى لا ترى . لان التى ترى وقتيـــة واما التى لا ترى فابـدية

(٢ كو ٤ : ١٨)

+++ يعطيك الرب حسب قلبك ...

فان كنت تحب وتميـل نحو الارضيات ، فســتحصل على الارضيات وســتجد الارضيات لها اقامة فى قلبك ، وتصير انت فى وحدانية مع الارضيات فيعطونك الهلاك .

وان كنت تحب وتميل نحو السمائيات ، فستحصل على السمائيات ، وستجد السمائيات لها اقامة فى قلبك ، وتصـير انت فى وحدانية مع السمائيات ، فيعطونك حياة .

+++ ما هى علامة ان انسانا ما قريبا من المسيح ؟

الانسان القريب من المسيح هو الذى يرجع اليه باستمرار بايمان ومحبة ، ودائما يردد اسمه العذب ، ودائما يدعوه لمعونته ، ودائما يحول نظره وافكار قلبه نحوه . طبعا مثل هذا الانسان ، يعلن المسيح الرب ذاته على شفتيه وفى نظراته . لأنه بدون المسيح يشعر انه بلا قوة وبلا فرح .

+++ الانسان البعيد عن المسيح ، نادرا ونادرا جدا يحول افكاره نحو المسيح . وحتى ان فعل فليس من عمق القلب ولا بملء الايمان والحب للمسيح ، انه يدعوه فقط لضرورة عابرة ، ولكن سرعان ما ينساه ، وتكون مناداته للمسيح كما لشخص لا يعرف عنه الا القليل ، ولا يستريح له ، ولا يجد مسرته فيه ، وليس جذابا له بأى وجه .

+++ القريبون من المسيح ، يحملونه فى الذهن والقلب ، انهم يعيشون فيه ، والمسيح بالنسبة لهم هو الهواء والماء والغذاء والمسكن وكل شىء . به التصقت نفوسهم (مز ٦٣ : ٨) وفى هذا هم يجدون غبطة لا ينطق بها ، غبطة لا يعرفها العالم .

بمثل هذه العلامات يمكن معرفة من وجد المسيح .

+++ الذين لم يجدوا المسيح ، يعيشون فى هذا العالم بدون ايمان قلبى ، ان جل اهتمامهم وتفكيرهم هو فى الامور الدنيوية . فيكدون باطلا يوما وراء يوم حتى يضيع الزمان منهم ، وتأتى الساعة الرهيبة التى فيها تفنى كل مخططاتهم وينتهى الزمان ، عندما تنهار كل خطاياهم بكل قوة ساقطة فوق رؤوسهم ، فتسحقهم الى الابد .

+++ ان كنت وانا هنا ، اشعر بالراحة فى شخص المسيح ، فماذا يمكننى ان افعل سوى الاعتقاد بالدخول

الى راحة ابدية فى المسيح بعد الموت ، بعد الجهاد ضد الاعداء الارضيين ؟

وان كنت وانا هنا اشعر بانني مضغوط بالالم حينما يبعد المسيح عني ، فماذا يمكنني ان افعل سوى الاعتقاد بأن عذابي سيكون اشد هناك بعد الموت لو ان المسيح – لا سمح الله – طرحني من امام وجهه ؟

لذلك ، فالحالة الحاضرة للنفس تلقي ضوء على المستقبل . فالابدية هي استمرار للحالة الداخلية ولكن بدرجة اكبر بكثير . فالابرار سيتحولون الى ملء المجد الابدي ، اما الخطاة فالى ملء العذابات الدهرية .

+++ في العالم الآتي ، سنتحد بالله اتحادا فعليا ، فيكون بالنسبة لنا مصدرا للنور والسلام والفرح والبركة ..

نحن نتذوق من هذه النعمة في هذه الحياة الزمنية تذوقا جزئيا اثناء الصلاة ، حينما تتحول نفوسنا كلية نحو الله ، وكأنها فارقت الى حين حياة الارض ... فنشعر بسعادة وطمأنينة وسهولة وبهجة ، كأطفال صغار في حضن امهاتهم في سكينة وراحة . مثل هذه اللحظات في الصلاة ، تجعلنا نختبر بصيصا من نور الحياة الفائقة غير المنطوق بها .

+++ ان الله يتبوع حياة دائمة ...

فما علينا الا ان نتحد به بايمان حي ، ومحبة بلا رياء . حينئذ نمتلىء منه بكل بركة روحية . هذا الاتحاد ممكن في كل وقت وفي كل مكان ان كانت قلوبنا باستمرار معه وليست مع الشيطان ولا مع اباطيل العالم .

هذا هو السبب اننا نجد بين الابرار اشخاصا اصحاب رؤى ونبوات ، وصانعي معجزات بسلطان الهي حسب

مراحم الله ومحبته . كذلك نجد فيهم ثباتا لا يتزعزع فى الفضيلة الى لحظة رقادهم على الايمان وفى محبة الله ... ممتلئين من كل حكمة « لأن الرب الههم قدوس » (مز ٩٩ : ٩)

+++ بصلاة الايمان العميقة ، وأعمال المحبة النقية ، تتحد النفس بالرب وتصير معه روحا واحد (١كو ٦ : ١٧)

وبذلك تمتلىء بالحكمة والقوة الروحية بحسب قياس ايمانها وحبها الحقيقى . فتأخذ النفس من الله كل ما يؤول الى خلاصها لانه مصدر كل الخيرات . وتصبح النفس رحيمة وشفوقة وحنونة نحو الآخرين وتمتلىء بالحكمة الروحانية وتنمو فى الايمان والفضيلة .

+++ ان الغاية من حياتنا هى أن نتحد بالله ..

والخطيئة تمنع هذا تماما . لذلك اهرب من الخطيئة لانها عدو مرعب ، هى مهلكة للنفس . فلنفهم اذن وضعنا ومصيرنا ، ولنذكر أن الهنا وسيدنا لا يكف عن دعوتنا للاتحاد به .

وانا حينما ننفصل عنه ندخل الى الموت .

+++ حينما يسمح الله . ويجعلك تتذوق عربونا من بركات الحياة المزمعة فى الزمان الحاضر ، جاهد بلا كلل عالما أن هذه مجرد بدايات غير كاملة ، انك تنظر الآن جزئيا كما فى مرآة (١ كو ١٣ : ١٢) ..

كم سيكون هذا الاختبار عندما نتحد بالله اكثر فاكثر ، وعندما تزول الصورة والظلال ، ويأتى ملكوت الحق والرؤيا الواضحة .

+++ ان الله هو الكمال المطلق ..

ويمكنك أنت أيضا أن تشارك فى كماله الالهى بحسب قياس ايمانك وحبك . لا تفكر أن اتحاد نفسك مع الله أمر مستحيل وصعب التحقيق ، لأن كل شيء ممكن عند الله (**مرقس ١٠ : ٢٧**) انه يعمل فينا بأكثر مما نسأل او نفهم .

+++ ان طبيعة حالتنا الروحية الآن هى أن نسقط ونقوم سواء فى الفضيلة او حتى فى الايمان . ولكننا نتطلع الى تلك الحالة الملائكية الغير قابلة للشر حيث لا نسقط بعد . ونثبت راسخين فى القداسة .

حارب ضد الخطيئة فى الزمان الحاضر ، على أمل انك ستصل الى كمال النصرة على الخطيئة وعلى الموت ـ الذى هو ثمرة الخطيئة ـ فى الزمان الأخير ....

« آخر عدو يبطل هو الموت » (**١ كو ١٥ : ٢٦**)

+++ اننا نكد ونسعى وراء الخيرات الزمنية ، ولا نجدها ونخترع ملذات لأنفسنا لا تستمر ، لأنها زائفة وفارغة ووقتية ، تزول بسرعة مع تقلب الحياة . أما ان سلك المسيحى كما يحق للدعوة التى دعى اليها فانه يرث البركة الحقيقية الدائمة التى تشبع نفسه وترضيها تماما لأن افراح البركات السمائية لا تنتهى ولا تزول .

أما يليق بنا أن نحتقر ملذات العالم الوقتية الزائلة ، ونشتاق بكل القلب للافراح الروحانية الدائمة .

+++ ان الحاضر هو ظل المستقبل ..

ـ فنور الارض ، هو ظل للنور الذى لا ينطق به .

ـ وخيرات الارض هى ظل باهت للخيرات الآتية الدائمة ، غير المنطوق بها .

- النار ، هى ظل باهت لنار جهنم التى ستحرق خطاة كل الاجيال .

- وافراح الارض النقيـــة ، هى ظل للافراح الابدية التى لا يعبر عنها .

+++ يمكن أن نشعر بأختلاف درجات العذاب للاشرار ، واختلاف درجات النعيم للابرار فى الحياة الآتية : وذلك من حالات الانسان المختلفة فى اوقات او ظروف مختلفة ، أو من اختلاف نفسيات الناس .

فكلما كان الانسان فاضـــلا بسيطا باذلا (أى غـير انانى) كلما احس بالنعيم فى داخله . وكلما كان خائنا انانيا شريرا ، كلما كان بائسا شقيا . كذلك كلما كان ايمانه ومحبته قوية ، كلما كان مباكا ومغبوطا بالاكثـر ، أما ان كان ايمانه مزعزعا ، ومحـبته ضعيفة ، كلما شـعر بالضعف اكثـر . لذلك فضعيفى أو عديمى الايمان ، الذين يكرهون رفقائهم هـم أشقى جميع الناس . بهـذا نقدر أن نفهم كيف سـتكون العذابات المقبلة .

وكيف سـيكون النعيم الآتى

المسيحى لا يخاف الموت

للقديس كبريانوس

وكان اسقفا على قرطاجنة بشمال افريقيا حتى سنة ٢٥٨ حيث استشهد من اجل اسم المسيح .

وقد كتب رسالته هذه لابنائه حين انتشر الوباء فى اقليم اسقفيته .

بركات هذا الاسقف الشهيد تكون معنا امين .

(١) اسباب الانزعاج من الموت

اخوتى الاحبـاء الاعزاء . .

ان جمعا غفيرا منكم ، ذوى عقول راسـخة ، وايمـان ثابت ، ولهم روح التكـريس ، حتى أنهم لا يضطربون من شيوع القلاقل الحاضرة . بل هم كصخرة ثابتة قوية ، تتكسر عنـدها انواء بحر العالم العاتيـة ، وكـل أعاصير الزمان المزمجرة . وهى راسخة ، لا تتزحزح ولا تتفتت ، حتى وان احاطت بها كل هـذه التجارب .

ولكنى قـد لاحظت انه يوجد فى وسط الشعب ، اما عن طـريق .

ـ لذات هذا العالم .

ـ أو اختلال فى الايمـان .

ـ أو اهتزاز فى العقـل .

ـ أو من اجـل رقة فى الجنس ، والافظع من كل هذا بسبب خطأ فى الحق ، وشيوع الهرطقات والطوائف حتى داخل الكنيسـة .

نجد قوما اقل استعدادا فى احتمال الشـدائد ، غـير ثابتين ، ولا يظهرون الحرارة الالهيـة المتأججة فى القلب . فالواجب علينا ان لا نتجاهل هـذا الموضوع أو نتكتمه ، ولكن بحسب قوتى الضعيفة سـأبذل كل طاقاتى لمنـاقشة هـذه الامور مما جمعته من تعاليم الرب ، راجيا ان يتوقف هـذا الذعر والاستسلام الاعمى للحزن . حتى يعـد كل انسان نفسه كرجل لله وللمسيح ، ويوجـد مستحقا لله ، وللمسـيح .

(٢) فرح الملكوت المنتظر

أخوتى الاعزاء ..

ان الذى يحارب حروب الرب ، ينبغى أن يعد نفسه كانسان ينتمى الى المعسكر السماوى . رجاءه فى الامور الالهية وحدها ؛ حتى ان الالهيات تكون هى ما يتنفسه . فلماذا نرتجف من عواصف العالم وزوابعه ؟ ولماذا نضطرب ما دام الرب قد سبق واخبرنا انه لا بد ان تأتى هذه جميعها ؟ انه يرى المستقبل ، وقد انذرنا ، وافهمنا ، واعدنا ، وقوانا نحن شعب كنيسته لاحتمال كل الامور الآتية . لقد تنبأ وقال : ان حروبا ومجاعات وزلازل واوبئة سوف تظهر فى كل مكان . وائلا تهزنا فوازع غير متوقعة ، او مخاطر لم نسمع عنها ؛ سبق وحذرنا بانه سيكثر الارتداد اكثر فاكثر فى الازمنة الاخيرة . وهذا ما يحدث الآن هو بالضبط ما سمعنا عنه . فان ما يحدث ؛ قد سبق فاخبرنا به ؛ فكل الوعود التى وعدنا بها لا بد ستحقق بكل تأكيد . كما وعد بها الرب قائلا : فاذا وجدتم كل هذه الامور صائرة ، فاعلموا أن ملكوت الله على الابواب (لوقا ٢١ : ٣١)

اخوتى الاعزاء ..

أن ملكوت الله على الابواب . ذلك الملكوت الذى فيه ننال مكافاة الحياة . انه فرحة الخلاص الابدى ؛ البهجة والطمانينة الدائمة ، والعودة الى الفردوس المفقود . كل هذا آت مع زوال العالم .

فلنتهلل لأن الامور السمائية بدات تحل محل الامور الارضية . العظائم محل الصغائر . الابديات عوضا عن

الزالات . فما هو وضع القلق هنا اذن . وما الداعى للهموم ؟ من يرتجف ويحزن وسط هذه الامور الا من كان بلا رجاء ولا ايمان ؟ ان الخائف من هذه الضيقات هو شخص لا يريد ان يذهب الى المسيح . والذى لا يريد ان يذهب الى المسيح ، هو شخص لا يؤمن انه سيملك الى الابد مع المسيح .

(٣) طمانينة المؤمن وقت انتقاله

مكتوب : اما البار فبالايمان يحيا . فان كنت بارا ، وتعيش بالايمان . وان كنت حقا تؤمن بالمسيح ، ومتأكدا من وعد الرب ، ألست متيقنا انك مدعو للذهاب الى المسيح ؟ فتفرح بكونك ستتحرر من الشيطان الى الابد .

ان سمعان الشيخ البار ، ذلك الرجل الذى كان بارا بالحقيقة ، الذى حفظ وصايا الله بايمان كامل : حينما أوحى اليه من السماء انه لا يرى الموت قبل ان يعاين المسيح الرب ، فحينما اتوا بالطفل يسوع الى الهيكل ، أحس بالروح ان المسيح قد ولد ، فاخذه على ذراعيه من أمه ، وسبح الله متهللا . وبعد ان ابصر المسيح عرف انه سينطلق فورا وصلى : الآن ياسيد تطلق عبدك بسلام حسب قولك لان عينى قد ابصرتا خلاصك ... كان مطمئنا لاستدعائه . متهللا لاقتراب موته ، شاهدا ومؤكدا أن خدام الله لهم سلام فى تلك اللحظة ، ويشعرون بالاطمئنان ، والانطلاق ، والحرية . لانهم سينسحبون من عواطف العالم الصاخبة . ويرتاحون بوصولهم الى ميناء الوطن ، والضمان الابدى بالدخول الى الخلود . هذا هو السلام الحقيقى ، هذه هى سكينة ايماننا هذا هو ثباتنا ورسوخنا وطمأنينتنا الدائمة .

(٤) فرحة التحرر من العالم

أريد أن أقول لمن استولى الذعر على قلوبهم . ماذا فى العالم سوى صراع يومى مع الشيطان ؟ ومعارك ضد حيله وأسلحته ، واشتباكات دائمة معه ؟ ... حروب ضد الطمع ، والكبرياء ، والغضب ، وحب الظهور . ان صراعنا الدائر المضطرم هو مع الرذائل اللحمية ، ومع اغراءات الدنيا . ان عقل الانسان دائما محاصرا ، وفى كل لحظة يتلقى انذارا بهجوم من الشيطان ، ودعوى للقتال معه ، اننا لا نكاد نلتقط انفاسنا من كثرة الهجمات الشرسة التى يسددها لنا . ان هزم الانسان الطمع ، سرعان ما ترفع شهوة الجنس رأسها ، واذا تغلبنا على الشهوة يستولى علينا العجب وحب الظهور ، واذا احتقرنا الزهو والغرور ينفجر الغضب ، ويبدأ الكبرياء نفخاته المسمومة ثم نحارب باغراءات السكر بالخمر ، ويخرج الحسد من عقاله ، ويطمو الحقد فوق جسوره ، وتسرى اللعنة التى ينهى عنها الناموس . وتتكسر الوصايا الالهية ..

(٥) فرحة الالتقاء بالمسيح

اضطهادات كثيرة تعانى منها النفس يوميا ، ويقلق القلب من كل المخاطر . فهل نريد أن ندوم هنا معرضين لسهام الشيطان ، فى حين أن المفروض أن تكون شهوة قلوبنا هى الاسراع نحو المسيح ، كما علمنا هو بذاته : « الحق الحق اقول لكم انكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح . انتم ستحزنون ، ولكن حزنكم سيتحول الى فرح » (يوحنا ١٦ : ٢١) .

من لا يريد ان يكون بلا حزن ؟ من لا يسرع كى يبلغ الى هذا الفرح ؟ ولكن متى يتحول حزننا الى فرح ؟ .

ان الرب نفسه يعلن لنا هذا اذ يقول : « سأراكم وتفرح قلوبكم ، ولا ينزع أحد فرحكم منكم » (يوحنا ١٦ : ٢٢) .

يا اخوتى ان رؤيتنا للمسيح هى الفرح ، ولا يمكن أن يكون فرحنا حقيقيا الا بمشاهدة المسيح . فيا لعمى العقل ويا للحماقة حينما نحب أحزان الدنيا ودموعها وعقوباتها ، ولا نسرع بالاحرى الى الفرح الذى لن ينزع منا !

(٦) الله الصادق يعدك بالخلود

يبدو أن الايمان قد ضعف ! اما تؤمن ان الامور التى يعدنا الله بها هى أمور حقيقية ؟ انه الحق ، وكلامه المؤمنيه لم يتغير الى الابد . اننى أسألك ، لو أن شخصا ما من الشخصيات المرموقة الرفيعة الشأن وعدك بشيء ، ألست تتيقن فى تحقيق وعده هذا من اجل سمو منزلته ؟ ويستحيل أن تفكر ان الذى وعدك يخدعك ويراوغك طالما تعرف أنه عند كلمته باستمرار . الان الله هو الذى يتكلم معك ، فهل ما زال ذهنك المتردد يشك بعدم ايمان ؟ ان الله يعدك بالخلود والابدية بعد رحيلك ، فهل أنت تشك ؟ ان معنى هذا انك لا تعرف الله على الاطلاق . معنى هذا انك تعثر فى المسيح بخطيئة عدم الثقة فيما يعلمه للمؤمنين . ومعنى هذا أنك تشك فى الكنيسة التى هى بيت الايمان .

(٧) فرحة الانفصال عن عالم الشر

كم هو مفيد جدا الانفصال عن عالم الشر . هذا المبدأ يبينه لنا المسيح بذاته اذ يعلمنا طريق الفضيلة والخلاص

ففى الوقت الذى أخبر تلاميذه انه موشك ان يرحل عنهم فاغتموا لذلك وحزنوا ، خاطبهم قائلا : « لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لانى قلت امضى الى الاب » (يوحنا ١٤ : ٢٨) معلما ايانا ، وموضحا لنا انه ان حان وقت الرحيل علينا أن نفرح ، ولا نحزن على الاطلاق . متذكرين الحقيقة التى يقررها الرسول بولس فى رسالته : « لى الحياة هى المسيح ، والموت هو ربح » حاسبا انه ربح عظيم كونه لايكبل بعد برباطات العالم ، ولا يتعرض بعد لخطايا ورذائل الجسد . فالرحيل هو عملية أنتشال من الضيقة العظيمة ، ومن مخالب الشيطان المسمومة ، ملبيا دعوة المسيح لفرح الخلاص الابدى .

(٨) فيما نشابه أهل العالم ، وفيما نختلف عنهم

وقد يضطرب البعض عندما يرون أن الامراض تهاجمهم وهم من شعب الكنيسة ، كما تهاجم الوثنيين تماما بلا تفريق . كما لو كانت غاية الحياة المسيحية هى الاستمتاع بالعالم والمعيشة فيه بلا تجارب !! انهم غير مستعدين أن يتقبلوا كل ضيقة وعناء هنا على الارض من اجل الفرح الاتى المدخر لهم . يضايق البعض أن مشاكل الحياة وضع مشترك بيننا وبين الاخرين . وما هو الشىء الذى لا يكون مشتركا بيننا وبين الاخرين فى هذا العالم ما دام جسدنا هذا ما زال باقيا ، طبقا لقانون مولدنا الاول انه مشترك معهم ؟؟

ما دمنا هنا فى هذا العالم ، فنحن مرتبطون بالجنس البشرى على قدم المساواة . ولكننا ننفصل عنهم فى الروح لذلك ، فالى أن يلبس هذا الفاسد عدم فساد ، وهذا المائت عدم موت ، وهذا الفانى عدم فناء ، ونكون منقادين بالروح

الى الله الآب ؛ حتى ذلك الوقت ، كل معـــاناة جسدية سنظل نشارك الجنس البشرى فيها .

لذلك فحينما يسود الفلاء على الارض ، ونقل المحاصيل فان المجاعة لا تميز وفى الحروب والاسر والسبى يصاب الجميع على حد سواء . اذا ساد الجدب والقحط على الكل يسود ، وحينما تنكسر احدى السفن بارتطامها فى صخرة، فالخطر يـداهم جميع الركاب على حـد سواء ؛ امراض العيـون ، هجـوم الحمى ، ضعف الاطـراف ، كل هـذه الامراض شائعة بين الاخرين وبيننا ، طالما نحن نشـترك معهم بهذا الجسد بلا استثناء .

(٩) العالم ضيقة بالنسبة للمسيحى

احب ان اقول اكثر من هذا : ان المسيحى الذى يعرف دعوته حق المعرفة ويتمسك ثابتا فى ايمانه ، يعلم جيـدا ان عليه ان يتألم اكثر من الاخرين فى العالم . حيث ان عليه كفاح اكثر ازاء هجمات الشيطان . ان الاسفار المقدسة تعلمنـا وتنبهنا مسبقا قائلة : يا ابنى ، ان انت اقـدمت لخدمة الله ، اثبت فى البر وخف ، واعد نفسك للتجارب (سيراخ ٢ : ١ ، ٤) وايضـا : « احتمل فى الالم ، وليكن لك صبر فى اتضاعك ، لان الذهب والفضة يجربان فى النار والمقبولين الى الرب فى أتون الاتضاع » . (سيراخ ٢ : ٥)

(١٠) ايوب وطوبيا

هذا ما كان فى ذهن ايوب الصديق ، لانه بعد فقـدان ثروته ، ووفاة ابنـائه السبعة ، ومرضه القاسى بالقروح والدود ، لم ينقلب ، بل بالاحرى تذكى .

لأنه وهو فى معاناته وعذاباته كان يبدى صبرا ، وروح تدين قلبى عالية جدا حيث قال : « عريانا خرجت من بطن امى ، وعريانا اعود الى اسفل الارض ، الرب اعطى الرب اخذ ، كما يحسن فى عينى الرب هكذا فليفعل ، ليكن اسم الرب مباركا » **(اى ١ : ٢١)**

وحينما عيرته زوجته وهو فى اتون التجربة وذروة الالم ليفرط بشفتيه ويتكلم ضد الله بشكوى او بتمرد ، لم يفعل بل أجاب قائلا : « تتكلمين كأحدى الجاهلات . ان كنا قد أخذنا الخير من يد الله ، فلماذا لا نعانى شرا ؟ فى كل الاشياء التى حدثت لم يخطى ايوب ، ولم يفرط بشفتيه فى حضرة الله » (اى ٢ : ١٠) لذلك شهد الله عنه قائلا : « هل رأيت عبدى ايوب ؟ لانه لا يوجد مثله فى كل الارض رجلا كاملا ، وعابدا حقيقيا لله » **(اى ١ : ٨)**

وطوبيا أيضا بعد اعماله الصالحة ، والصور العديدة لاعمال الرحمة التى قام بها ، أصيب بفقدان بصره . ورغم هذا كان يشكر الله ، ويسبحه حتى فى بلواه اكثر فأكثر . وهو ايضا قد جرب من زوجته حين قالت له : « اين هى الآن اعمال برك ؟ انظر كم انت تتعذب » (**طوبيا ٢ : ١٤**) ولكنه ثبت باصرار فى مخافة الله ، وتسلح بالحقائق الايمانية فى الله ليواجهه بها كل العذابات التى كان يعانيها ، ولم يستسلم لضعف زوجته فى ضيقته . بل قد استحق المجازاة الصالحة من الله بصبره الطويل . فمدحه الملاك رافائيل قائلا : « أما انا فاعلن لكما الحق وما اكتم عنكما أمرا مستورا . انك حين كنت تصلى بدموع وتدفن الموتى ، وتترك طعامك وتخبىء الموتى فى بيتك نهارا وتدفنهم ليلا ، كنت انا أرفع صلاتك الى الرب . واذ كنت مقبولا أمام الله كان لا بد ان تمتحن بتجربة والان فان الرب قد ارسلنى لأشفيك ، واخلص سارة كنتك من الشيطان . فانى انا

رافائيل الملاك احد السبعة الواقفين امام الرب »
(طوبيا ١٢ : ١١ ـ ١٤)

(١١) خطورة التذمر

ايها الاحباء الاعزاء ...

ان جميع الاتقياء كان لهم هذا الاحتمال العجيب . لقد اتقن الرسل هذه الفضيلة الانجيلية . فمهما حدث فى العالم من ضيقات ، يتقبلونها بشجاعة وصبر دون تذمر ولا دمدمة . اما الشعب اليهودى فهم يعثرون جميعا فى هذا الامر . حتى انهم باستمرار يتمرمرون على الله ، كما يشهد الرب الاله فى سفر العدد قائلا : « فتكف تذمراتهم عنى لكى لا يموتوا » (**عدد ١٧ : ١٠**) لا ينبغى ان نتذمر فى الضيقة ايها الاخوة الاحباء بل علينا ان نحتمل بشجاعة وصبر كل ما ياتى علينا مهما حدث . حيث انه مكتوب : « الذبيحة لله روح منسحق ، القلب المنكسر والمتواضع لا يرذله الله » (**مزمور ٥١ : ١٧**) وفى سفر التثنية لموسى النبى يحذرنا قائلا : « الرب الهك سيذلك ، ويأتى عليك بالجوع ، وسيعرف فى قلبك ما اذا كنت قد حفظت وصاياه جيدا ام لا » (**تثنية ٨ : ٢**) وايضا « لان الرب الهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب الهكم من كل قلوبكم ومن كل انفسكم (تثنية ١٣ : ٣)

(١٢) النصرة فى احتمال الآلام

بهذا ارضى ابراهيم الله . لانه مفروض ان الذى يرضى الله لا يعز ابنه عنه حتى لو فقده وضحى به . انت يا من لا تستطيع ان تحتمل فقدان ابنك بحسب ناموس الموت ، ماذا كنت تفعل لو طلب منك ان تضحى به لله كابراهيم ؟

ان مخافة الله والايمان به ، يجب ان تجعلك مستعدا لكل شيء حتى لو تعرضت لفقدان كل ممتلكاتك الخاصة بطريقة شنيعة ، رغم نحيب زوجتك وندبها المريع عليك ، او بكاء اطفالك ، او الافتراق عن اعزائك . لا تجعل كل هذه الامور تعثرك ، بل بالاحرى تعتبرها معارك : ولا تدعها تكسر ايمانك المسيحي او تضعفه ، بل دع جهادك يظهر قوة الايمان الذي فيك . اذ كل آلام الزمان الحاضر تحتقر احتقارا امام يقين البركات المقبلة .

بدون معارك لا يوجد انتصار : اما ان وجدت معارك يتحقق فيها النصر حينئذ تعطى الاكاليل للغالبين . البحار الماهر يعرف وقت الانواء والعواصف . ولا نتبين شجاعة الجندي الا في الحروب . تظل شجاعته شفوية حتى تظهرها الحروب . ان الجهاد في الآلام هو محك الحقيقة . ان الشجرة التي تعمقت جذورها لا تهتز امام العواصف ، المراكب المصنوعة من خشب متين قوى تخبطها الامواج ولا تتكسر . والسنابل الممتلئة لا يؤثر فيها الهواء الشديد ، اما الفارغة ، فسرعان ما تحملها الرياح وتقذف بها بعيدا .

(١٣) مثال انتصار بولس الرسول

هكذا ايضا الرسول بولس بعد ان غرقت السفينة به ، وبعد الجلد وعذابات متعددة جسدية ونفسية ، لم يشكو الما ، بل قد استفاد من اتعابه ، واحتماله الالام القاسى جعله يتذكى بالاكثر . لقد قال : « واعطيت شوكة في الجسد رسول الشيطان يلطمني حتى لا انتفخ : عن هذا تضرعت الى الرب ثلاث مرات كي تفارقني هذه الضربة ، فقال لي تكفيك نعمتي لان القوة تكمل في الضعف » (**٢ كورنثوس ١٢ : ٧ ـ ٩**) اذن ، فحينما وجد الحرمان

والاضطهاد أو أى بلاء يصيبنا ، فان قوتنا تتكمل ، وايماننا يكلل اذا ثبتنا فى التجربة كما هو مكتوب : « آنية الخزف تختبر فى الاتون وامتحان الابرار بالتجارب » (**سيراخ ٢٧:٥**) هذا باختصار هو الفرق بيننا وبين الآخرين الذين لا يعرفون الله . انهم فى المصاعب يشكون ويتذمرون ، فى حين ان المصائب لا تحيدنا عن الحق فى الفضيلة والايمان ، بل تقوينا حتى نحتملها .

(١٤) من هو الذى لا يخاف الموت ؟

.... يا لمجد الروح التى تجاهد مع كل القوى التخريبية بعقل لا يهتز ولو ادى الى الموت !

يا للسمو ، حينما تقف منتصبا وسط انحلال العنصر البشرى ولا تخور مع من لا رجاء لهم . وتدخل الى المعمعة بفرح مغتنما الفرصة المتاحة لتبين قوة ايمانك بكل شجاعة ، حين تحتمل الآلام متقدما نحو المسيح عبر الطريق الضيق الذى كرسه لنا المسيح ، وتنال حياته مكافأة على ايمانك المحسوب لك برا .

من هو الذى يخاف الموت الا الذى لم يولد من الماء والروح ، لانه سيسلم الى نيران جهنم ؟

من هو الذى يخاف من الموت الا الذى لم يوجد مكتوبا فى سجل آلام المسيح وصليبه ؟

من هو الذى يخاف من الموت الا الذى سينتقل من هذا الموت الى الموت الثانى ؟

من هو الذى يخاف من الموت الا الذى بعد رحيله من هذا العالم سيتعذب فى النار الابدية ؟

من هو الذى يخاف من الموت الا الذى عزاؤه الوحيد هو استطالة فترة الانتظار ، وتكون تنهداته واحزانه مؤجلة الآن ؟

(١٥) بركات الموت

يا لروعة الانسان الذى انتزع من قلبه مخافة الموت ، من اجل يقينية الرجاء الذى عنده ، وأصبح يستهزىء برعبة الموت ! حقا ان الموت حاصد ، يحصد اليهود والامميين واعداء المسيح الى النار الابدية ، ولكنه من ناحية أخرى يجمع المؤمنين كثمار للخلاص حين رحيلهم كى يخدموا الله الى الابد . فى المظهر : لا فرق على الاطلاق بين انسان وآخر البار يموت كالشرير . وهذا الامر قد يعثر بعضا منكم . ولكن الابرار يستدعون الى مكان راحتهم ، أما الاشرار فيجرجرون الى العذاب . الطمأنينة تمنح بسرعة للمؤمن ، والعقوبة لغير المؤمن .

انظروا الوباء الذى يسرى الآن فى الاقليم ...

+ بتوليون يرحلون ، وعذارى راهبات ، ينتقلون جميعا فى سلام مع مجدهم . غير خائفين من تهديدات مجىء ختن المسيح ، ولا ينظرون فساده وزيفانه .

+ الاطفال والاحداث ينتقلون ، وقد نجوا من خداعات الدهر المتقلب . وينالون جزاء العفة والبراءة .

+ والفتيات الرقيقات انتقلن بموت سريع ، فى بكورية وطهارة قبل ان يقعن فى ايدى المضطهدين .

+ لقد أجتهد الفاتر ، ونشط المهمل ، وابتدا المتوانى ان يعمل . لقد تاب الخطاة ورجع المرتدون ، وغير المؤمنين دخلوا الايمان ، وتهلل المؤمنون الحقيقيون . واعد كل واحد نفسه للمعركة الاخيرة ، معركة لقاء الموت .

(١٦) الانتفاع من المحن

فوق هذا أيها الاخوة الاحباء . . . يمكننا ان ننتفع من المحنة الحاضرة التي قد تبدو مفزعة ومريعة . فيها تظهر فضيلة كل واحد . . . انها محك لفحص عقول الجنس البشري ، فيعرف من كان عنده شفقة بالمرضى ، ومن توجد عنده محبة للقريب عمليا . هل لا يهمل الاطباء مرضاهم المتأوهين ؟ وهل يعطف الاسياد على عبيدهم ؟ هل يقلل الشرسيين من عنفهم ؟ وهل يتوقف اللصوص عن سلبهم ونهبهم ؟ أم تري شهية الطمع مفتوحة حتى مع وجود خطر الموت . هل خفض العتاه أعناقهم ؟ وهل عدل الاشرار عن تعدياتهم ؟ هل فكر الغني ان يرحم أخاه الفقير ، وهو على وشك الموت بلا وارث ؟

ومحنة انتشار الوباء هذه هي ايضا ذات فائدة للمسيحيين وخدام الله . فقد بدانا نرغب في الاستشهاد بفرح ، كما تعلمنا ان لا نخاف الموت . ان هذه الميتات هي بمثابة تدريب لنا لأنها تمنح العقل ثباتا وعزيمة .

(١٧) الموت وشهوة الاستشهاد

وقد يعترض البعض ويقول : ان الامر كذلك ، ولكن الذي يحزنني ، هو انني اشتهي أن أموت شهيدا للمسيح ، ولا اموت بواسطة الوباء السائد . لقد كرست نفسي لاحتمال الآلام بكل قلبي ، وبشجاعة متوفرة ، ولكني سأحرم من بركة الاستشهاد ، وهذا ما يعذبني .

ان الاستشهاد ياحبيبي ليس بمشيئتك ، ولا بقوتك ،

بل هو تنازل وتفضل من الله . فليس من حقك أن تقول أنك فقدت ما لا تعرف هل كنت حقا مستحقا له أم لا .

ايضا الله ـ فاحص القلوب ومختبر الكلى ـ يعرف تماما نية قلبك ، انه عالم الاسرار وهو يراك ويقدرك ويقبل تقدمتك ويذكيك . وهو الذى سيجازيك بحسب قلبك . الم يعلم الله بنية قايين وقت تقديم القرابين ، بأنه سيقتل اخاه هابيل وادانه سلفا اذ راى الجريمة التى انعقد عليها فكرة الشرير ؟ هكذا ايضا ، الله يعلم ما فى قلب خدامه من نية الشهادة والاعتراف ، والاستشهاد ، وهو كحاكم عادل يتوج هذه النية بالمجد .

كون روحك تريد الاستشهاد هذا شيء ، وشيء آخر هو أن تكون الشهادة هى ارادة الروح القدس . ففى الحالة التى يجدك الله عليها حينما يدعوك ، هكذا سيدينك . حيث أنه هو بذاته يشهد ويقول : « فستعرف جميع الكنائس انى انا هو الفاحص الكلى والقلوب » (رؤ ٢ : ٢٣) لأن الله لا يريد دمائنا ، بل ايماننا .

رؤساء الآباء الاوائل ، ابراهيم واسحق ويعقوب ، لم يقتلوا ولكنهم مكرمون من اجل استحقاقات ايمانهم وبرهم ، وجميع المؤمنين والابرار سيدعون الى وليمتهم .

(١٨) لتكن مشيئة الرب

ينبغى علينا ان لا نعمل مشيئتنا الخاصة بل مشيئة الله . كما امرنا الرب أن نصلى اليه يمثل هذا يوميا . فكم يكون من اللغو الباطل ، ونحن نسأل الله أن يتمم مشيئته فينا ، ثم حينما يناديا ويدعونا ان نرحل من هذا العالم نظهر استياء لمشيئته ، ولا نطيع أمره على الفور !! اننا

نقاوم ونتمرد . وكمثل عبيد عصاة نجرجر بغير ارادتنا الى حضرة الرب . فهل نتوقع بعد هذا ان نمجد بامجاد سماوية من ذاك الذى ذهبنا اليه متبرمين ؟

لماذا اذن نصلى ونسأل : « ليأت ملكوتك » ان كان سجن الارض يبهجنا ؟ ولماذا نكرر بصلوات عديدة سرعة مجيء يوم ملكوته ، ان كانت رغبتنا العظمى ، وتوقنا الشديد هو ان نطيع الشيطان هنا بدلا من ان نملك مع المسيح هناك ؟

(١٩) رؤيا روحانية لأحد الكهنة

وايضا فى مثل هذه الظروف ، تتضح العناية الالهية بأجلى صورها ، مبرهنة ان الله بعلمه السابق للمستقبل يدبر الخلاص الحقيقى لشعبه ... اعرف واحدا من شعبنا ، وهو كاهن زميل . عندما انتابته اعراض المرض صلى طالبا لنفسه مهلة وبينما هو يصلى وهو فى انفاسه الاخيرة ، واذ بشاب مضيء يقف بجواره له هيبة ، وبهى جدا فى طلعته الى درجة يصعب لعين جسدية أن تتطلع اليه ولو بنظرة واحدة . أما عين الكاهن التى كانت على وشك الرحيل من هذا العالم ، أستطاعت ان تنظر اليه . وسمعه الكاهن وهو يوبخه ، وكان بملء قواه العقلية ، ويقول له : « ماذا تريد ان أصنع لك ؟ » كانت بلهجة التأنيب والتوبيخ — فالآخرون يشتهون التعذيب ، ولا فرق عندهم لو أستدعوا فى اى وقت كان .

وسمع أخونا الصوت ، وتحدث به للآخرين كانوا حوله فى ذلك الوقت وهو يلفظ انفاسه الاخيرة . لم يسمعه لذاته بلا شك ، بل سمعه من اجلنا نحن . لانه ماذا يتعلمه انسان وشمس حياته تميل الى المغيب ؟ يقينا قد أراد

الرب أن يعلمه لنا عن طريق ذلك الكاهن ، حتى نتفكر فى معانى هذا الدرس حين نذكر كاهننا الذى رحل عنا .

(٢٠) برهان الايمان ، عدم الانزعاج امام الموت

وأنا أيضا الحقير والذليل ، المدعو اسقفا بنعمة الله وفضله . لا اكف عن أن اشهد للملأ بكل حرارة وحماس . انه لا ينبغى ان نتحسر على اخوتنا الذين قد تحرروا من هذا العالم ، ولبوا نداء الله . لاننا نعلم انهم ليسوا مفقودين ؛ بل سبقوا أمامنا . انهم مرسلون قبلنا ، كما تعود الملاحون أن يفعلوا ، كى ما نشتاق ان نكون مثلهم . فلا ننتحب عليهم ولا نلبس ملابس سوداء عليهم هنا ؛ فى حين انهم قد تسربلوا هناك بثياب بيض .

ينبغى أن لا نعطى للاميين فرصة ليعيرونا حينما يرونا نحزن وننتحب على اولئك الذين نقول عنهم انهم أحياء مع الله كما لو كانوا قد تلاشوا وفقدوا . وبهذا لا نطابق بين شهادة قلوبنا ، وما نضمره فى صدورنا ؛ وبين ايماننا الذى نجاهر به . اننا نراوغ فى عقائدنا ورجائنا وايماننا : وما نقوله يبدو مصطنعا ، ومجرد مظاهر زائفة . لأنه لا جدوى من أن نتحدث عن الفضائل بكلامنا ونهدمها بأعمالنا ، فنهدم كل الحق معها .

(٢١) لا نحزن كالباقين الذين لا رجاء لهم

اخيرا : ان الرسول بولس ينتقد كل انسان يحزن على فراق أصدقائه فيقول : « ثم لا أريد أن تجهلوا ايها الاخوة من جهة الراقدين لكى لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم . لأنه ان كنا نؤمن أن يسوع مات وقام ، فكذلك

الراقدون بيسوع سيحضرهم الله ايضا معه » (**١ تسالونيكى** ٤ : ١٣) يقول ان من يحزن افراق صديقه هو انسان لا رجاء له ، ولكن نحن الذين نعيش فى الرجاء ، ونؤمن بالله ، ونثق بان المسيح قد تألم عنا ، وقام ايضا من الاموات ، ويقيم الذين هم فيه وبه وله . لماذا اذن لا نريد ان نرحل من هذه الحياة ؟ ولماذا نندب ونحزن على اصدقائنا عندما يرحلون ؟ كما لو كانوا قد ضاعوا . فى حين ان ربنا والهنا يسوع المسيح يشجعنا ويقول : « انا هو القيامة والحياة : من آمن بى ولو مات فسيحيا ؛ وكل من كان حيا وآمن بى فسوف لا يموت ابدا » (**يوحنا ١١ : ٢٥**)

ان كنا نؤمن بالمسيح ، فلنؤمن بوعوده وكلماته . وحيث اننا سوف لا نموت الى الابد ، فلمض بطمأنينة وفرح الى المسيح ، الذى به سنغلب ، والذى معه سنملك الى الابد .

(٢٢) الاشتياق للخلود فى ملكوت المسيح الابدى

ان الموت الذى نجتازه فى الزمان الحاضر هو عبور للخلود . ولا يمكن ان ندخل الى الحياة الابدية الا بعد رحيلنا من هذه الحياة الوقتية . فحياتنا الآن هى (ترانزيت) ننطلق منه الى وطننا الافضل الحقيقى . من منا يتردد فى ان يكون مثل المسيح ، ومن لا يشتاق أن يبلغ بسرعة الى عظمة المجد السماوى ؟

ان الرسول يقول : « فان سيرتنا نحن هى فى السموات التى منها ايضا ننتظر مخلصا هو الرب يسوع المسيح . الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ، ليكون على صورة جسد مجده » (فى ٣ : ٢٠ ، ٢١)

المسيح الرب ايضا يعدنا بأن نكون معه ، وأن نعيش

معه فى المنازل الابدية ، ونبتهج فى الملكوت السماوى . انه يصلى من اجلنا قائلا : « ايها الآب ، اريد أن هؤلاء الذين اعطيتنى يكونون معى حيث اكون انا لينظروا مجدى الذى اعطيتنى ، لأنك احببتنى قبل انشاء العالم » (**يوحنا ١٧ : ٢٤**)

من كان سيبلغ الى عرش المسيح ، والى مجد الملكوت السماوى ، ليس له ان يحزن أو يتألم . ولكن بحسب وعد الرب الحق وبحسب الايمان الذى نعتنقه ، عليه ان يفرح حينما يرحل ، وينتقل ، ويتغير الى الصورة السماوية عينها .

(٢٣) طوبى لمن اخترته وقبلته ليسكن فى ديارك

من اجل هذا ايضا نقل اخنوخ بعد ان ارضى الله كما يشهد سفر التكوين المقدس ويقول : وارضى اخنوخ الله ، وبعد ذلك لم يوجد لأن الله نقله » (**تك ٥ : ٢٤**) فسكونه مرضيا فى نظر الله ، استحق ان يتحرر من ارتباطات العالم .

ومن اسفار سليمان نتعلم ان المرضيين عند الله يؤخذون مبكرا ، ويتحررون بسرعة ، لئلا يتأخرهم فى هذا العالم يفسدون من ارتباطات العالم فقد قال : « لقد اخذ من قبل أن تفسد الرذيلة فهمه ، لأن نفسه كانت مرضية عند الله لذلك اسرع ان يأخذه من وسط الشر » (**حكمة ٤ : ١١**) هكذا ايضا فى سفر المزامير ، تسرع النفس المكرسة لله فى ايمان روحى ، وتناجيه قائلة : « ما احلى مساكنك يا رب اله القوات ، تشتاق وتسرع نفسى الى ديار الرب » (**مز ٨٤:١**)

(٢٤) ملذات العالم لا تخدعنا

من الذى يحب الدنيا ، ويسره البقاء فيها ، الا ذلك المخدوع بأغراءات العالم ، المستعبد لملذات الارض ؟ ان العالم يكره المسيحى ، فلماذا تحب من يكرهك ؟ ولماذا لا تتبع المسيح الذى يحبك ، وقد فداك ؟ ان الرسول يوحنا يحذرنا بصراح ان لا نتبع الرغبات الجسدية ، ولا نحب العالم فيقول : « لا تحبوا العالم ، ولا الاشياء التى فى العالم ، ان أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب . لأن كل ما فى العالم : شهوة الجسد ، وشهوة العيون وتعظم المعيشة . ليسوا من الآب بل من شهوة العالم ، والعالم سيمضى وشهوته ، وأما الذى يفعل ارادة الله فيثبت الى الابد ، كما ان الله ثابت الى الابد » **(١يو ٢ : ١٥ ـ الخ)**

أيها الاخوة الاعزاء

فلنعد انفسنا لتقبل مشيئة الله بذهن ناضج ، وبايمان راسخ ، وفضيلة متأصلة . ملقين عنا كل المخاوف . متفكرين فى الخلود الابدى الآتى . بهذا يظهر ايماننا عمليا حينما لا نحزن على رحيل اولئك الاعزاء علينا ، ونحن بدورنا حين يدعونا النداء لنرحل ، نلبى بفرح وبهجة بلا ابطاء ، ولا نقاوم الرب الذى يناديا بنفسه .

(٢٥) العالم على وشك الانهيار

كقاعدة ثابتة ، ينبغى ان يكون للخدام استعداد ـ وبالاكثر الآن ـ حيث العالم على وشك الانهيار ، وتجتاحه عواصف الامراض والاوبئة المرعبة . حتى ونحن نرى هذه

الضيقات قد بدأت ، ومازلنا نتوقع اسوأ واسوأ ، نشعر انها فائدة كبرى حين نرحل من العالم أسرع ما يمكن .

ان كنت في منزل قد تشرخت جدرانه ، وابتدأ سقفه ان يهتز من طول السنين ، والبيت الآن متصدع جدا وانت مهدد بانهياره انهيارا فجائيا ، أما ترحل عنه بأقصى سرعة ؟

وان كنت مسافرا بالبحر ، وهبت عاصفة عنيفة ، وارتفعت الامواج منذرة بكسر في السفينة ، أما تبحث عن الميناء بسرعة ؟ أنظروا ... هوذا العالم يتغير ، وكثر فيه الضلال ، والشواهد كلها تشير الى قرب نهايته ، ليس من جهة الزمن ، بل من جهة نهاية الامور . أفما تشكر الله ، وتهنيء ذاتك حين تدعى الى رحيل مبكر ، وتنقذ من كسر السفينة والضيقات التي ستحل آنذاك ؟

(٢٦) سمو الحياة الابدية

ايها الاخوة الاحباء الاعزاء ...

لنضع نصب أعيننا باستمرار ، ونتفكر من الآن أننا سنترك العالم . واننا في الوقت الحاضر نعيش هنا مجرد غرباء ونزلاء . فلنحيي ذلك اليوم الذي سيخرج فيه كل منا ويعود الى وطنه الذي يجذبنا ، ونشتاق أن نتحرر من فخاخ العالم ، ونعود الى الفردوس والملكوت السمائي .

من هو الذي يكون غريبا في ارض ، ولا يبادر بسرعة للعودة الى بلده ؟ من الذي لا يريد ان يسرع للقاء بأحبائه الذين سبقوه ، ولا يطلب ريحا موافقة كي يعانق أولئك الاعزاء الى قلبه ؟

ان الفردوس هو وطننا ، ورؤساء الاباء البطاركة هم آباء لنا : فلماذا لا نسرع نحو وطننا ؛ لنحيي آبائنا ؟ أعدادا غفيرة من الاعزاء ينتظروننا هناك ، وحشدا كبيرا من الآباء والاخوة والابناء يتوقون للقائنا . لقد سبقونا الى مرفأ الطمأنينة ، وما زالوا متلهفين على خلاصنا كي نلحق بهم ونكون معهم الى الابد فيا للبهجة لهم ولنا معا !! يا للمسرة التى هناك فى الملكوت السماوى ، بدون مخافة الموت !!

ويا للسمو والسعادة الدائمة للحياة الابدية !!

هناك صحبة الرسل المجدة ـ هناك طغمات الانبياء المملوئين فرحا ـ هناك اعداد الشهداء غير المحصى مكللين باكاليل النصر بعد كفاحهم وآلامهم . هناك الرهبان والراهبات يكرمون ، وكل الذين ضبطوا شهوة اللحم فى أبدانهم بقوة العفة ـ هناك الرحماء يجازون مع جميع الذين عملوا أعمال البر وساعدوا الفقراء وأعانوهم .

هناك الذين حفظوا وصايا الرب ، وحولوا ميراثهم الارضى الى كنوز سمائية .

فلنسرع أيها الاخوة الاحباء نحو هؤلاء برغبة جارفة ، ولنلتمس أن نكون معهم بسرعة وناتى الى المسيح على الفور .

ليت الرب يحقق هذه الرغبة الحارة ...

ليت الرب يسوع المسيح ينظر الى غرض ذهننا وايماننا ..

وهو سيعطى أعظم مكافآته فى المجد ، الى هؤلاء الذين جل شهوتهم أن يعبدوه ..

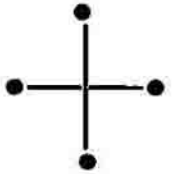

بصبركم اقتنـــوا أنفسكم

للعـــلامة ترتليانوس

وسط الضيقات والمحن التى تأتى على المؤمنين كعلامات على نهاية الازمنة ، يوصينا ربنا يسوع المسيح بـ « الصبر »

ولكن الذى يصبر الى المنتهى ، فهذا يخلص (٢٤ : ١٣ ، مرقس ١٣ : ١٣) .

هنا صبر القديسين (رؤيا ١٣ : ١٠ ، ١٤ : ١٢)

وهـــذه رساله كتبها العلامة ترتليانوس عن الصبر ...

وكان كاهنا فى قرطاجنه بشمال افريقيا ، ولـد حوالى سنة ١٥٠ م وتنيح سنة ٢٢٠ م .

الفصل الاول : ترتليانوس يتحدث عن فضيلة الصبر بصفة عامة ، وانه غير مستحق أن يتناول هذا الموضوع .

كم أخزى من نفسى حين أكتب موضوعا عن الصبر ، اننى أعتبرها جسارة ورعونة ، ان لم تكن وقاحة ، حين أكتب عن هذه الفضيلة ، وأنا نفسى خال منها . اننى أعترف أمام الله ربى ، انى ليس فى أى شىء صالح (رو ٧ : ١٨) المفروض أن الواعظين والكتاب حينما يعظون أو يكتبون عن فضيلة معينة ، ينبغى أن يتميزوا هم أولا بتآصل هذه الفضيلة فى سلوكهم العملى . ويظهرون الالتزام الدائم المستمر بما يعظون به أو يكتبونه . حينئذ يكون وعظهم بسلطان وكتاباتهم قوية . والا فان كلماتهم تضيع هباء منثورا أمام القصور فى التنفيذ .

قد يكون الخجل الذى سأشعر به حين أكتب عن فضيلة الصبر وهى ليست فى ، وصيا على تصرفاتى فيما بعد كى التزم بهذه الفضيلة . ويدفعنى أن أطلب السند والمعونة من النعمة الالهية كى انفذ فضيلة الصبر وابلغ أعلى مستوياتها لأن الخير المطلق لا يوجد الا فى الله المطلق . فلا خير الا عنده ، وهو الذى يعطيه لمن يشاء بقدر ما يترآى له .

كذلك الكتابة عن فضيلة لم تعط بعد ، ولم نستمتع ببركاتها ، هو نوع من العزاء لنا ... كالمعتلين صحيا الذين يكثرون من الثرثرة عن بركات الصحة كعزاء لهم . هكذا أنا أشقى انسان ، رغم كونى مريضا بحمى عدم الصبر ، الا اننى أجد تعزية فى التنهد على الصبر المفقود منى . وحين أتفطن فى ضعفى ، وما أعانيه من جراء عدم صبرى ، أشتاق ان أمتص هذه الفضيلة امتصاصا ....

- الصبر هو الذى يجعل ايماننا صحيحا عفيا
- بالصبر نتعقل تدابير الرب واعماله فى الكون
- الصبر هو الذى يمنحنا الاستقرار والقدرة على النمو
- الصبر هو الملازم لكل اعمال الله ، ولا يقدر انسان أن ينفذ وصية واحدة الا بالصبر
- الانسان المتغرب عن الصبر ، لا يستطيع أن يعمل مسرة الله .

ان الصبر هو اشرف جميع الفضائل : بشهادة المسيحيين وغير المسيحيين . بل وحتى الفلاسفة الذين يعتبرون انفسهم حيوانات ناطقة ، يضعون الصبر فى اعلى منزلة . لقد اتفقوا جميعهم على هذا رغم اختلافهم فى الرأى ، ورغم تعدد طوائفهم ومذاهبهم بسبب تعدد خزعبلاتهم واوهامهم . ونادوا بأهمية فضيلة الصبر والصبر وحده . ان الصبر هو الفضيلة المشتهاةمن جميعهم ، وبها يفتخرون ويتباهون .

يا لها من شهادة عظيمة للصبر : كونه يؤثر بعمق حتى على مدارس حكمة العالم الباطلة ، ويكون موضع مديحهم ومجدهم !! ولكن ، هل ينظر الحق الالهى حينما يتبنى أفكاره ، ويعد من العلوم الدنيوية ؟

اقول : كلا ، دعهم يتطلعون الى ذاك الذى سيسخر من كل حكمتهم الباطلة فى النهاية ، فيفنى صبرهم المزيف ويهلك مع العالم الذى يعيشون فيه .

الفصل الثانى : الله هو مثال الصبر .

ان صبرنا نحن المسحيين ، ليس هو صبر الجمود المتمثل فى عدم الحس البشرى . بل هو الصبر المتولد فينا من نظام

المعيشة الالهية التى نعيشها ، والتداريب السمائية التى نتدرب عليها ... فيشخص الله أمامنا كنموذج فائق فى الصبر . فنرى الهنا وهو يشرق بشمسه على الاشرار والصالحين ، ويمطر على الابرار والظالمين (**متى ٥ : ٤٥**)

ينظم مدارات الفصول ، ويستخدم خصائص العناصر وبركات الطبيعة كلها ويمنحها للمستحق ولغير المستحق بلا تمييز . محتملا شعوبا ناكرة للجميل ، واشخاصا يجحدونه وقد يضطهدون اسمه . وآخرون يتعبدون لأعمال ايديهم لعباً صنعوها بفنونهم ... ممتلئون فسقا وجشعا وفجورا وخبثا وخلاعة ووقاحة كل يوم . (**مزمور ٧٤ : ٢٣**)

أما الله فمن اجل صبره يطيل اناته عليهم ، ويصمت ، ولا يمنع خيراته عنهم . وهذا هو السبب الذى من اجله يتقسى الكثيرون ، ولا يؤمنون بالرب . اذ لا يرون برهانا حسيا ملموسا بأنه غاضب من أعمالهم .

الفصل الثالث : أعمال ربنا يسوع المسيح فى فترة تجسده مثل لا يبارى فى الصبر .

قد ننظر الى صبر الله ، ونعتبره : عظائم وعجائب أعلا منا (**مزمور ١٣٢ : ١**) ولكن ماذا نقول عن صبر المسيح الذى يمكننا ان نلمسه بايدينا (**١يو ١ : ١**) ؟

+ لقد احتمل الله نفسه أن يكون جنينا فى بطن امه العذراء مريم ، وانتظر حتى زمان الولادة .

+ وبعد ما ولد احتمل أن يمر فى مراحل النمو العادية .

+ وبعد ما نمى ، لم يكن متلهفا أن يشتهر ، بل كان

يواضع نفسه هاربا من الاضـواء . واعتمد فى نهر الاردن من خادمـه يوحنـا .

+ وحينما اهانه ابليس ، مجربا اياه على الجبل ، رد عليه بالمكتوب فقط . بينما من البـدء انت يا رب هو السـيد الذى تعلم الناس طريق الافلات من الموت ، اذ قـد تدربت على الاحتمال المطلق لمرارة الصبر . (**عبرانيين ٥ : ٨**)

+ قال الله على فم اشـعياء النبى : هـوذا فتاى الذى اخترته ، حبيبى الذى سرت به نفسى . اضع روحى (أى روح الصبر) عليه ... لا يخاصم ، ولا يصيح ، ولا يسمع احـد فى الشوارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة مدخنـة لا يطفىء (**متى ١٢ : ١٨ ـ ٢٠**)

+ كان المسيح يقبـل حتى المنشقين عليه . ولم يحتقر دعوة انسـان دعاه الى بيتـه أو مائدته (**لوقا ١٤ : ١**)

+ لقد قام بذاته بغسل ارجل تلاميـذ (**يوحنا ١٣ : ٥**)

+ لم يرفض لا خطاة ولا عشارين (**لوقا ١٥ : ١**) وحتى تلك المدينـة التى لم تقبله لم يحنق عليها ، تلك المدينة التى تمنى التلاميـذ أن تنزل نار من السماء وتحرق تلك المدينة الفاجـرة (**لوقا ٩ : ٥١ ـ ٥٦**)

+ لقد اعتنى حتى بناكرى الجميل ، واستسلم لمن كانوا يتصيدونه بكلمـة .

+ احتمل يهوذا الخائن أن يـكون بصحبته ، وبطـول بال تعفف عن الاشارة اليـه وسط التلاميذ .

+ وحينما اسلم ليقتل ، لم يفتح فاه ، كشاة تسـاق الى الذبـح . واستسـلم لقاتليـه وهو الذى كان ربوات الملائـكة رهن اشارته ، ولو اراد لاسرعوا اليه من السماء .

+ لم يوافق على اشهار سيف الانتقام الذى جرده احد تلاميذه ، وقال لبطرس : انك لا تقطع اذن العبد ملخوس بل تقطع صبرى انا . لذلك لعن عمل السيف من وقتها فصاعدا ، وشفى اذن قاتله . ويسوع لم يكن قد عمل شرا بملخوس هذا ، ولكنه بصبر مفعم بالرحمة قابل اساءته . لأن فضيلة الصبر هى أم الرحمة .

+ لقد مررت بسرعة على أحداث صلب المسيح ، والصليب هو الغاية التى من أجلها جاء . لقد صبر على اهانات شتى وافتراءات فظيعة وآلام مرعبة ساعة الصلب ... نعم لقد فضل أن يرحل من هذا العالم وهو متمتع بذروة الصبر .

+ لقد تحمل حقدهم عليه ، وتحمل الجلد والسخرية والعرى ولبس الارجوان ، واكليل الشوك الشنيع ...

عجيب هو ذاك الايمان الذى يعطى كل هذه المقدرة على رباطة الجأش !!

انه هو الذى وضع ذاته آخذا صورة عبد ، ولكنه لم يأخذ من الانسان ملامح الرعونة وسرعة نفاذ الصبر .

يا غير المؤمنين ، كان ينبغى أن تعرفوا انه هو الرب الاله من هذه الصفة الوحيدة — أى صبره الذى بلا حدود . لأن الصبر الذى أظهره المسيح ليس صبرا عاديا ، لا يقوى عليه أى انسان .. انه صبر الهى .

قد يرى البعض فى هذا الصبر مبررا لرفض الايمان . اما نحن فنرى فيه أنصع برهان وأسمى ميزة تقنعنا بالايمان . فليست التعاليم والآيات والمعجزات هى وحدها التى تبهرنا ، بل والآلام التى تحملها الرب . فالذين أعطى لهم أن يؤمنوا ، يرون أن صبرا هذا مقداره هو من طبيعة الله ، وهو من تأثير وخواص وجوده الفائق .

الفصل الرابع : مفروض علينا الاقتداء بالمسيح وطاعته ، ولكن كمال الطاعة يتم بالصبر .

— ان العبيد الامناء هم الذين يتصرفون بما يوافق ارادة سيدهم . وهذه الخصلة المحمودة ان كانت فيهم فاننا نسميها الطاعة .... كم يليق بنا نحن خدام الله الحى أن نطيع سيدنا المسيح مذعنين لأوامره ، ونتصرف بحسب ما يوافقه !!!

— والعبد ان اطاع سيده ينال الحرية مكافاة له . ولكن ان خالف يزيد عليه سيده وثاقات عبوديته . اما بالنسبة لنا ، فمخالفتنا للمسيح تجلب علينا عقوبة ابدية ، وطاعتنا له تتوج بالخلاص الابدى .

والآن أما ترعبنا تلك العقوبة المخلدة ، فنندفع نحو طاعته بكل غيرة ! أما تبهرنا مواعيد الحرية المعطاة لنا ، فتتولد فى داخلنا طاقة هائلة من الطاعة له !

ان طاعة العبيد لاسيادهم تخجلنا ، والاكثر من هذا حتى البهائم والعجماوات تطيع قانيها وصاحبها . فلماذا نتردد فى طاعة من نحن له وحده أى الرب ؟ لماذا لم تعرف الخراف صوت راعيها ؟

يالجحودنا ونكراننا للجميل ! انحتاج الى كلمات أخرى لنستصوب الطاعة المفروضة أن تكون منا للرب الهنا ؟

من لم يطع الله ، فهو لم يعرف الله .

وقد يفكر البعض اننا خرجنا عن سياق الموضوع العام الذى هو الصبر ، ولكن لنذكر أن الطاعة فضيلة مشتقة

من الصبر . يستحيل لغير الصبور أن يطيع ، ويستحيل للصبور أن يجد بهجة الا فى الطاعة .

لقد كان الصبر الذى تحمله المسيح فى آلامه عنا طاعة لمسرة أبيه . فيليق بنا أن نطيعه نحن طاعة مطلقة بكل صبر . وهو مصدر كل صلاح أوصانا بالصبر ومنه نستمد قوة للصبر .

الفصل الخامس : كما ان الله هو مصدر الصبر ، هكذا الشيطان هو مصدر كل رعونة وعدم صبر .

ان الحديث عن الايمان نافع جدا ، والاستفاضة فى تناول الموضوعات اللاهوتية ليس باطلا ... أما عند الحديث عن فضيلة معينة ، فاننا نحتاج الى تناول الموضوع بطريقة خاصة ، وذلك بأن نتأمل فى كل ما هو عكس هذه الفضيلة . وبهذا نلقى ضوء ساطعا على الفضيلة ذاتها . لانك كلما عرفت الطرق الخاطئة التى يجب أن تتجنبها ، كلما ركزت فى الطريق الصحيح . وعلى هذا فلنتأمل فى أصل رذيلة عدم الصبر ونتائجها :

كما أن الله هو مصدر الصبر ، هكذا المعاند الشرير هو أصل الرعونة وعدم الصبر . ومن هذا نلمح أن عدم الصبر هو ضد الايمان . ان ابليس المخدوع حين ظن فى نفسه انه ند لله ، سرعان ما تنافر مع الامور الالهية ... وهكذا صار الشيطان مصدرا لكل الامور التى تعاكس أمور الله

فان كان الله هو الخير ، فالشيطان هو الشر

وان كان الله هو الافضل ، فالشيطان هو الاسوأ

وأصبح من المستحيل أن نجد فى الشيطان أى عمل خير ، كما يستحيل أن نجد فى الله أى عمل شر .

لذلك فاننا نشعر ونلمس أن موطن عدم الصبر والرعونة هو فى الشيطان نفسه ... فمنذ الوقت الذى فيه سلم الله العالم وكل موجوداته للانسان المخلوق على صورته ، بدأ الحقد يأكل قلب الشيطان ، وبدأ يخادع الانسان بالف حيلة ومكر مريدا فصله عن الله ... انه لم يصبر ولم يحتمل ، ولو كان صابرا لما حسد الانسان وحقد عليه .

ولا اريد ان ادخل فى نقاش عن : هل كان الشيطان خبيثا **اولا فدفعه خبثه الى عدم الصبر** ، أم انه غير صبور فدفعته الرعونة الى الخبث ؟ لأنه واضح أنهما رذيلتان توأمتان : عدم الصبر والخبث ، ينميان بلا انفصال فى حضن أب واحد .

لقد نفث الشيطان فى بداية خداعة للانسان رذيلة عدم الصبر ، ومن هذه البداية تتابعت سلسلة الشرور واحدة وراء الاخرى ، سلسلة طويلة من ارتكاب الجرائم والآثام .. فحالما قابلته المراة ـ نقل اليها شعور عدم الصبر وسط خداع (ولهوجة) وغرس فيها روح الرعونة وعدم التروى ، وبالمباغتة والسرعة غيب عن ذهنها خطورة كسر الوصية الالهية . وأننى أؤكد : لو انها صبرت واستخدمت التريث حتى النهاية لما سقطت فى هذا التعدى ، وما كانت أخطات على الاطلاق . والوزر الذى لم تستطع ان تحتمله وحدها ، جعلها لم تطق صبرا ، فجرت الى آدم ـ ولم يكن آنذاك زوجها جسديا ، ولم يكن ملتزما أن يعطيها اذنا صاغية ـ ونقلت اليه ما قبلته هى من الشيطان .

وهكذا قد يهلك انسان برىء ، عن طريق نفاد صبر شخص آخر .

لقد قبل آدم بذرة الهلاك ـ أى عدم الصبر ـ وأهلك بها ذاته . فلم يتريث حتى يسترجع التحذيرات الالهية فى ذهنه ، فيمكنه بسهولة أن يكتشف غش الشيطان .

من ثم نرى أن عدم الصبر هو أول بادرة من بوادر أختلال العلاقة مع الله ، وهى الرذيلة التى يدينها الله ، وتجلب غضبه . الا ترون معى أن الجريمة الحقيقية التى أرتكبها الانسان وتغلغلت فيه هى عدم صبره ؟ ورغم كل ما حدث نلمس صبر الله وطول اناته حتى مع الشيطان ، فهو لم يمحه على الفور ويبيده من الوجود ، بل أكتفى فقط بأن لعنه .

اما بالنسبة لآدم فقد كان فى حالة براءة وفى صداقة صميمية مع الله ، وكان فلاح الفردوس . ولكنه بعد ما أستسلم لعدم الصبر لم يعد على وفاق مع الله ، وصار متنافرا مع الامور السمائية . ومن وقتها وهو مخلوق أرضى ، مطرود من حضرة الله . يقوده عدم صبره الى كل ما هو مغيظ لله .

ورذيلة عدم الصبر اذا حبلت تلد المكر والغضب كأبناء لها ... وهكذا تصرفا آدم وحواء بكل خطايا الموت . ورذيلة عدم الصبر هى التى علمت ابنهما قايين أن يبدأ بالقتل . فكان بعدم صبره أول قاتل للانسان ، واول قاتل اخيه . فلو أنه صبر على عدم قبول الرب لقرابينه ، لما اغتاظ من أخيه ، وما قام أخيه وقتله . لقد قتل لانه اغتاظ وأغتاظ لانه لم يصبر . الغيظ هو الذى اقترح الجريمة ، وانفعال الغضب لا يكون الا بأهتزاز الصبر . وحينما يهتز الصبر يتولد الغضب الذى سرعان ما ينمو الى مارد ضخم مرعب !!!

نفاذ الصبر اذن هو البداية ...

انه الساق الاصلية التى تحمل فروعا شتى من الرذائل .

انه الرحم الذى يلد من جوفه جرائم شتى : كالقتل ، والغضب ، والمكر ، والطمع .. الخ

أستطيع ان أقول : لو كان الانسان صبورا لاستطاع ان يكون كاملا . فالزانى هو انسان لا يصبر على ضبط شهوة الجنس . والعاهرة التى تبيع عرضها بثمن منجوس ، لم تصبر لتتفطن فى مساوىء الكسب الحرام ، فتبيع شرفها .

وبوجه عام بحسب ما كشف لنا نور الرب :

ان كل خطيئة ، أساسها هو عدم الصبر

- فالشر هو عدم الصبر على الخير
- والذى يفقد وداعته ، هو غير صبور على الوداعة .
- والخائن غير صبور على الامانة .
- والدنس غير صبور على التقوى .
- والصاخب ، غير صبور على الهدوء .
- والشرير غير صابر على التقوى والبر .

كيف يحتمل الرب محنة الاثم وهو لا يطيق شرا ؟ لقد خاب بنو اسرائيل فى مسعاهم نحو الله ، حينما طلبوا من هارون برعونة ، آلهة تسير أمامهم . ناسيين الذراع السماوية التى أخرجتهم من الشقاء والمذلة التى كانوا يعانون منها فى مصر (**خروج ٣٢ : ١ ، أعمال ٧ : ٣٩ ، ٤٠**) فقدموا عطايا من ذهب وسبكوها عجلا ليعبدوه من دون الله ، وقت كان موسى غائبا على الجبل . أما الله ففى ذلك

الوقت لم يمنع المن عنهم ، ولم يجفف ينابيع المياة التى فجرها لهم من الصخر . بل احتمل كل تمرداتهم . . اما هم فمن جهة أخرى لم يصبروا على عطش ثلاثة ايام، التى سمح بها الله لامتحانهم ، بل سرعان ما كفروا بالله وتمردوا عليه بشدة .

ويعوزنى الوقت لأذكر كل الحالات التى تبين ان كل تقصير فى واجباتنا من نحو الله ، سببه عدم الصبر المخرب ... كيف وصل الحال ببنى اسرائيل ان يفتكوا بانبيائهم الا لعدم صبرهم على سماع كلام الانبياء ؟ بل وتجاسروا والقوا ايديهم على الرب نفسه لانهم لم يصبروا ولم يحتملوا ان يروه . ولو انهم كانوا قد سلكوا فى طريق الصبر فبكل تأكيد كانوا سيتحرزون من وصمة خطاياهم

الفصل السادس : فضيلة الصبر سابقة للايمان ، وثمرة له .

من كل ما سبق ، نتيقن ان الصبر سابق للايمان ، كما انه ثمرة له . فنحن نقرأ عن رئيس الآباء ابراهيم انه آمن بالله (اى وثق فى الله) فحسبه الله له برا (اى صار هو نفسه موضع ثقة الله) **(تك ١٥ : ٦ ، رو ٤ : ٣٠ ، ٩ ، ٢٢)**

يا لعظم صبر ابراهيم فى امتحان الايمان الذى اجتازه بتفوق **(غلا ٣ : ٦ ، يع ٢ : ٢٣)** لقد امره الله ان يقدم ابنه محرقة ، فاطاع ونال البركة بجدارة وعن استحقاق . لقد كان أمرا قاسيا جدا ، وحتى لو كان قد تم بالفعل ، ما كان سيبهج قلب الله . ولكن ابراهيم حقق ايمانه عمليا بصبره الطويل ، ولم ينسب الى الله قساوة .

من هذه الواقعة ، نرى ان الصبر هو الذى يثير الايمان ويظهره . ان ابراهيم هو النموذج امام كل الامم عبر نسل

ابراهيم ، الذى هو المسيح (غلا ٣ : ١٦) فقد رفع المسيح النعمة ، وجعلها فوق الناموس ، كما جعل الصبر رفيقا للنعمة كى بهما يتحقق الناموس الملتزمين به .

حقا ان ناموس العهد القديم ، يعلم طريق البر . ولكن بدون فضيلة الصبر تنفتح ثغرات كثيرة فى الناموس . مثال ذلك : قال ناموس العهد القديم « العين بالعين والسن بالسن » وهكذا سمح بالانتقام (متى ٦ : ٣٨) وكل الناس كانوا يميلون ان يقابلوا الشر بالشر بوجه عام ، وذلك لعدم صبرهم وضعف ايمانهم . ولكن بعد ما جاء ملك الصبر وسيده (**ربنا يسوع المسيح**) سد كل هذه الثغرات التى كانت فى الناموس بأن ربط فضيلة الصبر مع نعمة الايمان . ونادى : « احبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، صلوا من أجل مضطهديكم ، لكى تكونوا أبناء أبيكم السماوى » (متى٦:٤٥) وهكذا حرم الغضب ، وتهذبت حدة طبائعنا ، واستأصل سم اللسان (مز ١٤٠ : ٣) (رو ٣ : ١٣) ، (يع ٣ : ٨)

والآن لم يعد مسموحا لنا ان نخطىء ولو بكلمة رقا ، ولا ان نقول للآخر يا أحمق حتى لا نتعرض للمحاكمة ونار جهنم وهكذا كسب الناموس بالمسيح أكثر مما فقد ... أترون مقدار ما يمنحه لنا الصبر ؟ ان نظام الكون كله يتلخص فى الصبر ، وكل فاعل شر هو انسان غير مذعن لنظام الكون ، ولا يصبر على رتابته .

الفصل السابع : أسباب عدم الصبر ، والوصايا المقابلة لها .

قد يكون فقدان ممتلكاتنا هو سبب غيظنا وشعورنا بالغبن ، فتحتد أرواحنا من أجل عدم صبرنا على هذه المحنة . ولكن ياحبيبى ، ان الاسفار الالهية المقدسة

تحضنا فى أغلب المواضع على احتقار العالم والاشياء التى فى العالم . فان كنت مسيحيا حقا ، فأعلم ان أهم الوصايا التى أكد عليها المسيح هى ترك محبة المال .. كيف تحب المال وربك يسوع المسيح عاش متجردا من كل مظاهر الغنى ؟ وكان باستمرار يطوب الفقراء ويعطى الويل للاغنياء . لذلك فقد سبق وأعطى نعمة الصبر لافراد شعبه كى يحتملوا الخسائر الدنيوية .

ان شعب المسيح هو الشعب القنوع المتحرر من وثاقات الغنى ، لأن المسيح قد احتقر الغنى الارضى مبينا لنا ان الذى يحب أموال الارض يطعن نفسه بأوجاع كثيرة . ولا حاجة لى أن أبرهن من الكتاب المقدس على هذا المبدأ لانه واضح كوضوح الشمس .

لذلك فلنطرح من قلوبنا روح الطمع الذى قال الله عنه بلسان الرسول : انها أصل لكل الشرور (١تى ٦ : ١٠) والطمع ليس هو تمنى امتلاك ما للغير ، بل وحتى مقتنياتنا التى نملكها هى ليست لنا بل للآخرين . وكل ما لنا هو لله ، بل نحن انفسنا له . فان كنا نغتاظ ونتألم ونحزن من أجل خسارة مادية ، ونشعر بوخزات عدمان الصبر ، فأمتحان ضميرنا يعلن اننا مصابون بداء الطمع ، لأننا نحزن على فقدان ما ليس لنا . كذلك الذى يتهيج جدا لعدم صبره على الخسارة يثبت انه يهتم بأمور الارض أكثر من الامور السمائية . انه يريد الخطيئة ولا يريد الله . فيحزن الروح الذى ناله من الله بصدمة قوية لأنه يطلب الدنيويات .

لذلك ، فلنفقد يا اخوتى متعلقات الارض بملء ارادتنا وبكل سرور ، مفضلين عنها الامور السمائية . فحتى لو فقدنا العالم كله لا نتخلى عن صبرنا لانه نصيبنا الحقيقى .

تفطنوا انتم فى هذا الامر : هل الشخص الذى لا يصبر

على فقدان بعض المال سواء بالسرقة أو بالاغتصاب ، أو حتى بالاهمال ، سيكون مستعدا من قبله أن يبسط يده على ثروته ليبذلها كعطاء ؟ ... هل من لا يحتمل جرحا من آخرين ، يحتمل أن يوجه سيفا الى جسده ؟ ... ان الصبر على الخسائر هو تدريب على البذل والمشاركة . فمن لا يخاف الفقدان ، لا يصعب عليه العطاء . لأنه من هو الذى لـه ثوبان فيعط من ليس له (**لوقا ٣ : ١١**) الا ذاك الذى يعطى الرداء أيضا لمن يسأله ثوبه ؟ (**متى ٥ : ٤٠ ، لوقا ٦ : ٢٩**) ومن يقدر أن يصنع أصدقاء بمال الظلم وهو يحب مال الظلم هذا ولا يحتمل اى خسارة فيه ؟ (**لوقا ١٦ : ٩**)

اننى أعجب : لماذا نكد ونجمع هنا ، مع ان من واجبنا هو أن نفقد ونخسر !!! (**متى ١٠ : ٣٩**)

ان نفاذ الصبر فى حالة الخسارة هو عمل الامميين الذين يعطون الاهمية القصوى للمال ، ويعتبرونه أغلى من أرواحهم ويدفعهم طمعهم للمال الحرام ان يواجهوا الازمات ، ويقومون بأعمال القرصنة فى البحار . ومن أجل جشع المال لا يوجد عندهم شيئا يسمى عيبا . حتى أنهم فى ساحة الفوريوم (بروما) يراهنون على الالعاب الوحشية التى تعبر عما فى داخلهم من وحشية حب المال . ولكن بالنسبة لنا نحن المسيحيين ، فاننا نتمايز عنهم ، ولا نقبل هلاك أنفسنا حبا فى المال ، بل على العكس نهلك المال من أجل خلاص أنفسنا ، سواء بالعطاء الفورى لما نملك ، أو بالصبر على خسارته .

الفصل الثامن : الصبر على الشتائم والضربات العنيفة ..

ان المسيحى وهو مجتاز فى هذا العالم ، معرض للبغضة من الجميع من أجل اسم المسيح . فيحاولون ايذاءه

نفسيا وجسديا . وعلينا أن نحمل سلاح الصبر لنواجه به كل هذه الاساءات (متى ٦ : ٢٥ ، لوقا ١٢ : ٢٣) لأنه دعا بخادم المسيح أن يتعثر بمثل هذه التوافه الزمنية .

ان اراد احد أن يهينك بأعمال عنف مستخدما يديه ، ضع أمامك وصية المسيح القائلة : من ضربك بقبضته على وجهك فأعطه خدك ايضا (متى ٥ : ٣٩) وبذلك تمتص غضبه ، وتستهلك مشاعر الثورة التى عند أخيك . ومهما كانت الضربة مؤلمة ومهينة ، الا انك باحتمالك لها من اجل المسيح تزيد أجرك الذى تناله من قبل الرب ... كما انك باحتمالك ، تجرح ذلك الهائج جرحا غائرا وكأنه يرفص مناخس ، وسيضربه المسيح منتقما لك منه .

ايضا اذا شتمت ولعنت ، واطلقت عليك السنة التحقير ، ضع أمامك القول : متى لعنوكم أفرحوا وابتهجوا . فان الرب نفسه لعن ، بل وصار لعنة فى نظر الناموس ، رغم كونه القدوس الوحيد . فان كان ربنا وسيدنا يسوع المسيح قد صار لعنة من أجلنا ، أما نحتمل نحن العبيد ، فنصبر على الشتائم والاهانات ! فان كنت اضطرب من كلمات التهجم ، والشتائم القاسية التى توجه لى ، فهذا يدل على انه ينقصنى الصبر أو اننى أحمل نفس صفة الشتيمة التى يشتمونني بها .

وان كنت ارد الشتيمة بالشتيمة ، واقذف بلسانى رادا على الازدراء ، فكيف يرتاح ضميرى بأننى اتبع تعليم الرب المسلم لنا بأن الانسان لا يتنجس بالاوانى بل يتنجس بما يخرج من فمه (مرقس ٧ : ١٥) وايضا ان كل كلمة بطالة ، سيعطى الانسان عنها حسابا (متى ١٢ : ٣٦) ان الافعال الرديئة التى نهانا الرب عنها قد أوصانا أن نحتملها بصبر من الآخرين .

ان الصبر متعة للصابرين . . . فكل اذية توجه ضدهم ، عندما تصدم بصخرة صبرهم سرعان ما تتبدد وتتلاشى ويكون المؤذيون كمن يركلون صخرة صلبة بأصابع اقدام عارية . وكل مؤامراتهم تنهار تماما ، ولا يكون اى نتيجة من تعبهم الشرير . بل واكثر من هذا ، الصبر يرد الضرر والايذاء لمن اساء اضعافا كثيرة ، فالذى يؤذى يريد ان يسبب لك الما ، وهو يتلذذ فى الالم الذى احدثته اذيته لك . فعندما تصبر ولا تتألم ، فانك تفسد عليه لذته وهذا يوجعه بالاكثر . فانت تسير فى طريقك بسلام ، اما هو فينال قصاصه غيظا . وهذا ربح جزيل للصابرين .

الفصل التاسع : الصبر على انتقال الاحباء

قد يظن البعض ان فقدان الاحباء امر معفى من تطبيق مبدا الصبر ، وان الحزن المفرط فى هذه الاحوال حق مؤكد . ولكن كلمات الرسول فى هذه المواقف تدينا ، اذ يقول : « ثم لا اريد ان تجهلوا ايها الاخوة من جهة الراقدين لكى لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم » (**١ تسالونيكى ٤ : ١٣**) فطالما نؤمن بقيامة المسيح ، نثق ايضا اننا سنقوم من الاموات ، نحن الذين مات المسيح من اجلنا وقام . وما دمنا نعتقد فى القيامة من الاموات ، فالحزن فى هذا الموقف بلا معنى . وعدم احتمالنا وصبرنا يتعارض تعارضا صارخا مع ايماننا . لماذا تحزن ان كنت تؤمن ان حبيبك لم يهلك ؟ ولماذا لا تصبر على الفراق الوقتى لمن تعتقد انك ستلتقى معه فيما بعد ؟

ان ما نظنه موت هو فى الواقع مجرد رحيل ، والذين سبقونا لا يجب ان نندبهم ، بل الواجب علينا ان نشتاق ان نلحق بهم . وهذا الاشتياق ايضا ينبغى ان يتلطف

بالصبر . لماذا لا تتحمل بفطنة وتعقل الحقيقة بان الشخص الذى رحل عنك ، ستحلق انت به ؟

ان عدم الصبر على فقدان الامور المادية هو نقص فى الرجاء . وعدم الصبر على فقدان الاحباء هو نقص فى الايمان . لأن هذا معناه اننا نجعل المسيح كاذبا ، وكما لو كان العالم بعيدا عن تدبيره ... اننا بهذا نحزن قلب المسيح .

يقول معلمنا بولس الرسول : « لى اشتهاء ان انطلق واكون مع المسيح » (فيلبى ١ : ٢٣) فيا لروعة هذه الرغبة !

فان كنا مسيحيين ، علينا أن نشتاق الى هذا ، والا فاننا نبرهن على اننا لا نريد ان نبلغ الى كمال المسيحية .

الفصل العاشر : عن الانتقام

عندما يتوقف الصبر ، تبرز شوكة قوية هى حب الانتقام . ولتحقيق شهوة الانتقام هذه قد يلجأ الشخص اما الى المكر والدهاء ، او البطش ومحاولة التفوق على خصمه .

فمن جهة البطش ومحاولة التفوق ، هو باطل من جميع الوجوه (**غلا ٥ : ٢٦ ، فى ٢ : ٣**) ومن جهة المكر والدهاء ، فهو ممقوت دائما عند الله .

ان استخدام المكر والدهاء لاغاظة من يؤذينى ، يثير فى نفسه الرغبة فى ايذائى بالاكثر ، كى يؤكد لنفسه انه متفوق عنى فى تدبير المقالب . وبهذا يستجيب للشر الذى فيه اكثر واكثر ، ويتصاعد الموقف بلا حدود ...

الانتقام لأجل خطأ معين يثير الاحقاد والضغائن ، والانتقام

لأجل الحق هو تعمد للأذى .. فما الفرق بين الحاقد ومثير الحقد ؟ كلاهما سيء . وان كان يبدو أن شر الحاقد اكبر فى حجمه من شر مثير الحقد . ولكن كلاهما يقف مذنبا فى نظر الله لانهما تسببا فى اذية انسان . فالله يدين الانسان ويحاسبه عن كل شر بغض النظر عن الطريقة التى ارتكب بها هذا الشر ، أو الغرض من ارتكابه ، او المكان الذى ارتكبه فيه . لأن الوصية عامة ومطلقة :

لا تقاوموا الشر بالشر (**رومية ١٢ : ١٧**)

فعلينا أن لا ننتقم من احدا ، ولا نثير احدا لينتقم منا. لأن الامرين مستوجبان الدينونة الالهية .. ابتلع كبرياءك من اجل الله ، وامضغ ارادة الانتقام اكراما لربك .

اننا أوان ترابية فاسدة (**أش ٦٤ : ٦ ، ٨ ، ٢كو ٤:٧**) فلماذا نطلب الانتقام من بعضنا البعض ؟

لماذا نطلب الانتقام نحن العبيد من العبيد رفقائنا ؟ اما نسامحهم ونصبر عليهم اكراما لسيدنا والهنا وخالقنا ؟

اما نؤمن أن الله هو الديان العادل ؟ فان كنا نؤمن انه هو الذى يقضى لنا ، فلماذا لا نعتقد انه منتقم ايضا ؟ وهو نفسه قد وعد بهذا اذ قال : «اتركوا لى النقمة وانا سأنتقم » (**تث ٣٢:٣٥ ، مز ٩٤:١ ، رو ١٢:١٩ ، عب ١٠:٣٠**) اى اصبروا ، وانا سأجازى عن هذا الصبر .

وحينما قال : لا تدينوا لكى لا تدانوا (**متى ٧ : ١**) اما يطلب منا ان نصبر ؟ لأنه من هو الذى يتعفف عن ادانة الآخرين الا الذى يصبر ولا ينتقم لنفسه ؟ وحتى الذى يدين الآخرين كى يلتمس لهم عذرا ويغفر لهم ، انه يأخذ فى الواقع عمل الديان الوحيد الذى هو الله ، فهو وحده الذى يدين ويغفر .

كم من المعاطب تصيبنا من عدمان صبرنا ! وكم يتلف

الانتقام حياتنا ! اذ هو كقنبلة ، ان انفجرت ، يمتد تأثيرها المخرب الى ابعاد شاسعة ، مبعثرة شظاياها المميتة فى كل الاتجاهات .

ان اى موقف تعالجه بعدم صبر ، لا يخلو من التهور . واى موقف تعالجه بتهور ، لا يخلو من العثرة بل قد ينهار الموقف تماما . لأن الانتقام حتى لو كان طفيفا فانك تؤديه بجنون ، أما ان انتقمت بعنف وبطش فعليك أن تتحمل كل تبعاته السيئة وحدك .

ماذا لنا بالانتقام ، ونحن لا نعرف الى اى مدى سيصل بنا عدم صبرنا ؟ فى حين أننا لو صبرنا ، فسوف لا نشعر بألم . وما دمنا لا نشعر بألم او غيظ ، فسوف لا تكون هناك رغبة فى الانتقام ...

الفصل الحادى عشر : التطويبات كلها تتركز فى الصبر .

عندما نفقد الصبر ، سرعان ما يدخلنا الشيطان الى أعمال مخبلة ، ومجالات عنيفة تطوح بأرواحنا فى حماقات عديدة . فلماذا نتوه عن طريقنا الذى هو الصبر ؟ ولماذا ندع الزمام يفلت منا فتتبدد أفضل قدراتنا ؟

ان الاساءات التافهة يجب أن نحتقرها صابرين من اجل تفاهتها ، والاساءات الشديدة نحتاج الى الصبر بالاكثر كى يكون الضرر اقل ما يمكن . فلنتشوق اذن أن نتحمل المحزنات التى يسببها لنا الشيطان ، وليكن حرصنا على حفظ اتزاننا اقوى من حرص الشيطان على محاربتنا .

ان كنا ورطنا انفسنا بأيدينا من جراء عنادنا ، وجلبنا على انفسنا اتعابا معينة ، فلنصبر ولنتحمل التبعات برجولة . أما ان كانت بعض تجاربنا قد أرسلت لنا من قبل الرب ، فمع من نستعمل الصبر أن كنا لا نستعمله فى هذا

الموقف ونصبر للرب ؟ المفروض آنذاك ان نرفع تشكراتنا ببهجة لله اذ قد اعتبرنا مستحقين لتأديباته حيث يقول : « انني كل من احبه اؤدبه » **(أمثال ٣ : ١١ ، ١٢ وعبرانيين ١٢ : ٥ ، ٦ ورؤيا ٣ : ١٩)**

طوباك بالحقيقة يا خادم الله ، يا من اضمر الرب ان يقومك !!! يا من معك تنازل الرب واظهر غضبه ! يا من لم يهملك الرب ، وغض الطرف عنك !

ترون انه مفروض علينا ان نصبر سواء اتتنا التجربة من سوء تصرفنا .

ـ أو من العدو الشرير
ـ أو اتتنا كتأديب لنا من عند الرب

فلو تأملنا فى التطويبات ، ومن هم الذين دعاهم ربنا يسوع المسيح مطوبين ، نجد ان كل صفاتهم تتركز فى الصبر :

+ قال : « طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السموات » (**متى ٥ : ٣**) وبالتأكيد لا يدعى انسان مسكينا بالروح الا اذا كان متواضعا . ومن هو المتواضع الا الصابر ، لانه لا أحد يواضع ذاته بدون صبر . واول دليل على هذا انه يصبر على الازدراء بنفسه .

+ قال : « طوبى للباكين والمتنهدين » **(متى ٥ : ٤)** ومن تنطبق عليه هذه الطوباوية الا الصابر ؟ وعكس هذا توعد الضاحكين

+ قال : « طوبى للودعاء » **(متى ٥ : ٥)**
وتحت بند الودعاء لا يمكن ان يدرج غير الصابرين .

+ قال : « طوبى لصانعى السلام » (**متى ٥ : ٩**) وكل الناس حتى الجهال يدركون ان غير الصابرين ليس لهم اى ميل نحو السلام .

+ قال : « طوبى لكم اذا طردوكم وعيروكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين » (**متى ٥ : ١١**) ومن الذى يفرح فى الاضطهادات ، ويتهلل متوقعا الاجر العظيم من السماء سوى الصابر على الملمات والارزاء ؟

الفصل الثانى عشر : أهمية الصبر لتطبيق الوصايا المسيحية .

المسيحية توصى بالسلام بين الناس ، لأن السلام يفرح قلب الله . فهل يقدر المحتد غير الصبور أن يسامح أخاه ـ ليس سبع مرات فى سبعين ، وليس لسبع مرات ـ بل حتى مرة واحدة ؟ (**متى ١٨ : ٢١ ، ٢٢**)

من الذى يراضى خصمه سريعا ما دام معه فى الطريق (متى ٥ : ٢٥) الا الذى شذب من قلبه أولا أغصان القساوة والمرارة والتجبر ، التى هى الحصيلة المسمومة لعدمان الصبر ؟

قال يسوع : « أغفروا يغفر لكم » (**لوقا ٦ : ٣٧**) فمن له المقدرة أن يغفر الا الصابر الذى لا يهذ فى خطايا أخيه ؟

أيضا من اساسيات المسيحية : « ان قدمت قربانك الى المذبح ، وهناك تذكرت ان لأخيك شىء عليك ، فاترك هناك قربانك قدام المذبح ، واذهب أولا اصطلح مع أخيك » (**متى ٥ : ٢٣ ، ٢٤**) فمن الذى يطبق هذا الا الصبور ؟

وبوجه عام يقول معلمنا بولس الرسول : « لا تغرب الشمس على غيظكم » (**أفسس ٤ : ٢٦**) فان غربت الشمس على غيظنا ولو ليوم واحد ، نقع فى مأزق . لذلك ، فالمسيحى غير مسموح له أن يبقى ولا ليوم واحد بدون صبر .

فان كان الصبر له قصبة السبق بالنسبة الى كل

هذه المبادىء المسيحية الاساسية ، فلا عجب ان كان الصبر له الاهمية القصوى فى فعل التوبة ـ اى عملية قيام الساقط من وهـده الخطيئة . فمثلا : لو ان رجلا وزوجتـه ارادا أن يتعففا عن المعاشرات الزوجيـة ، اما مؤقتا كفترة صيام ، او دائما طـول الحيـاة ، فانهـما يحتاجان الى الصـبر . يا للبركات الفائقة التى ستفيض عليهما ! فالصبر هو الذى يعطى لهذا القرار الفائق قـوة التوبة ، وهو الذى يستمر معهما فى كل المراحل حتى يدخل بهما الى بهجة الخلاص . الصبر هو الذى يضبط عفتهما ، ويمنع فـكر الزنا عنهما .

ايضا عمـل الرعاية يحتاج الى صبر كـما صنـور ربنا يسوع المسيح فى الامثال التى نطق بها . فصبر الراعى يدفعه أن يبحث عن الخروف الضال (**لوقا ١٥ : ٣ ـ ٦**) فلو كان الراعى عديم الصبر ، سرعان ما يحتقر الخروف انواحـد الشارد . ولكن الصبر هو الذى يدفع الراعى ان يكد ويبحث وسـط الوعر وفى طريق الاشـواك . والصـبر هو الذى يحمل الخطاة الضالين على الاكتاف ، فيحمل الراعى كـل أثقال الخطاة حتى يعود بهم الى الحظيرة . ان صـبر الاب فى مثل الابن الضال هو الذى استقبل الابن والبسه الحلة الاولى وصنع له وليمة ، وسامحه فى حضرة الابن الاكـبر الغاضب ، بسبب عدم صبره (**لوقا ١٥ : ١١ ـ ٣٢**) لقد خلص الهالك لانه سار فى طريق التوبة .

ولا يمـكن ان يهلك التائب ، لانه يجد الصـبر فى لقاءه مسـتعدا لقبوله .

اريد أن اضيف ايضـا ، ان فضيلة المحبة التى تفـوق الايمان ، والتى هى بمثابة بيت الكنز للانسـان الذى دعى عليـه اسم المسيح ، لا تكمل فى تطبيقها العملى الا بالصبر . فالرسول بولس يعلم بملء قوة الروح عن هـذه الفضيلة فيقول (**١كو ١٣**) :

+ المحبة تتانى وتحتمل طويلا .... وهذا لا يطبق الا بالصبر .

+ المحبة لا تتفاخر ، ولا تصنع شرا ... وهذه من علامات الصبر المميزة .

+ المحبة لا تحتد ... لأن الصبر قد جعلها تتحكم فى انفعالاتها .

+ المحبة لا تنتفخ ، ولا تستعمل العنف ... وهذا يناسب الصبر .

+ المحبة لا تطلب ما لنفسها ، وهذا لا يتم الا ببذل الذات من أجل القريب بصبر طويل .

+ المحبة لا تتهيج طالبة الانتقام والثأر .. ماذا تبقى من مميزات لعدم الصبر ؟

+ المحبة تحتمل كل شيء وترجو كل شيء ... وهذا طبعا لأنها صابرة .

+ واخيرا المحبة لا تسقط ابدا .. لأن كل شيء آخر سيتلاشى وينتهى : ان كانت السنة أم علم ، ام نبوة .. الكل سينفذ أما الايمان والرجاء والمحبة فهم باقون ثابتون راسخون .

الايمان الذى قدسه صبر المسيح .

والرجاء الذى ينتظره صبر الانسان .

والمحبة التى هى الله ذاته ، يرافقها ويلازمها دائما الصبر .

الفصل الثالث : الصبر البدنى .

قد يرى البعض ان الصبر هو مجرد عمل ذهنى ، ولكننا فى الواقع نحتاج ان نمارسه بدنيا «كى ما نربح الرب » (فى ٣:٨)

لأن الرب نفسه قد طبق الصبر كفضيلة بدنية أيضا ، محتملا اماتة الجسد حتى الصليب . لأن الفضيلة المجردة في الذهن لا تتضح الا في موضع سكناها الجسدى . .

ما هو اذن عمل الصبر في البدن ؟؟؟

ان الصبر يظهر اولا في تداريب الاماتة للجسد ، تلك التقدمة التي تسكن غضب الله لانها ممتلئة اتضاعا ، اننا نتدرب بها كي نتحرر للرب : بلبس المسوح ، والطعام الضئيل ، قانعين بأبسط المأكولات وشرب الماء النقي ، ومراعاة الاصوام ، ولبس الخشن ، والجلوس على الرماد . بمثل هذه الاماتات تكتسب صلواتنا نعمة وقوة ، ونكتسب صلاحا ضد الشرور ، وبها يتحنن المسيح علينا ، ويميل بأذنه الينا ، ويبدد كل قساوة من قلوبنا ويترآف علينا .

انظروا نبوخذ نصر ملك بابل بعد أن فقد الصورة الانسانية سبع سنوات ، وعاش في بهيمية واهمال لانه اغضب الرب (**دانيال ٤ : ٣٣ ــ ٣٧**) حينما قدم لله صبره البدني استعاد ملكه وصار مرضيا عند الله .

- الصبر البدني هو الخزانة التي بها تحفظ لؤلؤة الطهارة والقداسة **(١ تي ٥ : ٣ ، ٩ ، ١٠)**
- الصبر هو الذي يحفظ الأرملة في عفة (١ كو ٧ : ٣٩ ، ٤٠)
- الصبر هو الذي يختم العذراء ببتولية دائمة **(١ كو ٧ : ٣٤ ، ٣٥)**
- الصبر هو الذي يرفع من خصوا انفسهم (اي قبلوا حياة البتولية بأختيارهم) الى ملكوت السموات (**متى ١٩ : ١٢**) وهكذا تستطيع الفضيلة النابعة من العقل ان تكمل في الجسد .

اخيرا ، الصبر البدنى هو الذى يلاقى آلام الاضطهاد حتى يكلل اخيرا بالاستشهاد . فالجسد الصبور لا يهرب من التعذيب ، ولا يهرب من الأسر . وهو الذى يحتمل الوثاقات والقيود والسجن ، ويصبر على افتراءات العالم . وحينما يساق الى الاستشهاد الذى هو قمة السعادة والغبطة ، يقدم الجسد آخر برهان على صبره ، ويصير الاستشهاد بالنسبة له معمودية ثانية ، فيصعد مكرسا الى الله ليدخل الى المجد (**قارن لوقا ١٢ : ٥٠**)

يقول ربنا يسوع المسيح : اما الروح فنشيط ، اما الجسد ـ بدون صبر ـ فضعيف (**متى ٢٦ : ٤١**) اما البدن الصبور فهو درع يحمى الروح والجسد معا ... فالجسد الضعيف لا يقويه شىء الا الصبر ـ بصبركم تقتنون انفسكم (**لوقا ٢١ : ١٩**) حتى وان لاقى فى سبيل الايمان كل انواع الجلد والنار والصلب والوحوش والسيف ، فيحتملها بكل ثبات كالانبياء والرسل الذين انتصروا بالصبر .

الفصل الرابع عشر : نماذج حية من صبر الآباء .

+ بالصبر لم يتوقف اشعياء النبى عن المناداة باسم الرب ، حتى وهو ينشر بالمناشير .

+ بالصبر صلى استفانوس وهو يرجم ، كى يغفر الرب لراجميه ... (**أع ٧ : ٥٩ ، ٦٠**)

+ يا لعظم الطوباوية التى لذاك الرجل الذى واجه بالصبر كل عنف الشيطان ـ أعنى أيوب البار ـ فلم يثنه عن صبره : لا نهب قطعانه ، ولاضياع غناه ، ولا هلاك كل بنيه فى ساعة واحدة ، ولا قروح جسمه الفظيعة فى بشاعتها . ووسط كل هذه المحن لم تتزعزع ثقته بالله ، تلك التى حاول الشيطان أن يهزها بعنف دون جدوى . فكان يبارك اسم

الله ، وصار أمامنا مثالا وشهادة لكمال عمل الصبر على أعلى مستوى ، سواء فى الروح أو الجسد أو الذهن أو البدن كى نقتدى به فى كل ما يواجهنا من تجارب الحياة .

لقد جعل الله من ذلك البطل نعشا للشيطان ! جعله راية فوق العدو ليتمجد الله !

فمع كل المرائر التى لاقاها ، لم يفرط بشفتيه ، ولم ينسب الى الله حماقة . بل كان يشكر الله ويستنكر كلام زوجته وهو مثخن بالقروح ، حينما اقترحت عليه علاجات ملتوية .

يا لفرحة قلب الله وابتهاجه بعبده أيوب ! ويا لخزى الشيطان وانكساره وخيبة أمله ؟

فان أيوب وهو جالس على الرماد يحك قروحه من صديدها العفن ، وينتزع الديدان الناشبة فى حفر لحمه المتهرىء التى كانت تتغذى هناك على القيح ، كان يتمتع بروح عالية ، وعظمة حقيقية ، متمتعا باتزان عجيب ...

فبعد أن هجمت التجارب والبلايا بكل نوباتها ، وناءت بكلكلها على ترس الصبر ودرعه ، بقى أيوب بعدها ثابتا . واستعاد انماء مجد الرب هذا من الله ملء صحته ، واضعاف ما فقده من مقتنيات فى هذه الحياة الزمنية .

الفصل الخامس عشر : تأثيرات الصبر على باقى الفضائل

كثيرة هى الارباح المودعة لنا عند الله حينما نقدم له صبرا !!!

فان صبرنا على اساءة أصابتنا ، فهو المنتقم لنا

وان صبرنا على خسارة تلحقنا ، فهو العوض لنا

وان صبرنا على ألم يعذبنا ، فهو الشافى لنا

وان صبرنا على موت يحزننا ، فهو المحيى لنا

اننا بصبرنا نجعل الله مديونا لنا .. وهذه قمة الشرف لفضيلة الصبر ان كانت لنا .

ان هذا القول ليس أعتباطا ، ففضيلة الصبر هى التى تمكننا أن نحفظ كل وصايا ربنا ، ونلبى كل نداءاته لنا .

+ الصبر هو الذى يغذى الايمان ، وهو القائد للسلام ، وهو المعين للمحبة .
+ الصبر هو بانى الاتضاع ، والمتحكم فى الحسد ، وهو الذى يحفظ الروح .
+ الصبر هو الذى ينتظر طويلا من اجل التوبة ، ويختم بخاتمه على الاعتراف .
+ الصبر هو الذى يلاشى الحنق ، ويلجم اللسان ، ويهدىء الايدى .
+ الصبر يطأ كل التجارب تحت الاقدام ، ويستر كل الفضائح .
+ واكليل الشهادة الذى هو أروع الاكاليل ، لا يعطى الا للصابرين .
+ الصبر يعزى الفقير ، ويعلم الاغنياء التعقل .
+ الصبر لا يكدد الضعيف ، ولا يرهق القوى .

+ الصبر هو بهجة المؤمن .

+ الصبر هو عون الرعاية والكرازة بين الامم .

+ الصبر هو زينة النساء ، وبهاء الرجال .

+ الصبر محبوب فى الطفولة ، ويمتدح فى الشباب ، وهو كمال الشيخوخة .

+ الصبر هو جمال كل جنس فى كل وقت من أوقات الحياة .

تعال معى لنتأمل فى الملامح الجميلة لهذه الفضيلة ، وهيئتها الفاتنة : ان طلعة فضيلة الصبر تنم عن الطمأنينة والسلام . محياها هو الرزانة ، لا يشوب وجهها أى غضن للحزن ، لا تجاعيد للغضب . اجفانها مخضبة بحكمة ممجدة ، وعيونها ناعسة بالاتضاع وليس بالشقاء . فمها مختوم بخاتم الصمت النبيل . لونها كلون الابرياء الذين يعيشون بلا هم . انها تنفض برأسها دائما نحو الشيطان شامتة (اش ٣٧ : ٢٢) لانه ليس له فيها شىء . ثوبها المتسربلة به أبيض نقى ، يعبر عن شخصيتها الطاهرة . لا تتهيج ولا تضطرب ، لأن الصبر يجلس على عرش الروح الهادىء الرقيق ولا يوجد فى دوامات الزوابع ، ولا فى تجهم السحاب . بل هو روح الرزانة الصافية . الصبر واضح وبسيط ورقيق ، كالنسيم الذى رآه ايليا فى رؤياه الثالثة (١مل ١٩ : ٤ ـ ١٣) لانه حيثما يوجد حب الله ، يوجد الصبر رفيقة الاول ، وابنه الملازم له . وعندما يحل روح الله ، يرافقه الصبر بطريقة غير منظورة .

الفصل السادس عشر : صبر الامم للهلاك الابدى .

اما صبر المسيحيين فللخلاص الابدى .

حاولنا فى الفصول السابقة ان نرسم ملامح الصبر الحقيقى حينما يكون موهبة سمائية نازلة من فوق بعمل روح الله القدوس . انه الصبر المسيحى المعين للخلاص الابدى .

وليس كالصبر الفارغ الذى يتشدق به أمم الارض ، انه صبر شيطانى يحاول به الشيطان أن يناظر الله .

قد يبدو الصبران متساويان ومتكافئان ، ولكنهما يختلفان حتما ولو فى نقطة واحدة وهى : أن الصبر الالهى غير محدود أما الصبر الشيطانى فهو محدود . أبليس يعلم أتباعه ايضا صبرا خاصا به :

فالامميين ـ يصبرون على اذلال شهوة الجنس لهم .

ـ يصبرون على عبودية حب جمع المال .

ـ يصبرون على بهيمية شهوة البطن .

ولكنهم أبدا لا يصبرون لله ... فصبرا كهذا يؤدى بهم الى نار الهاوية ..

أما نحن ، فلنحب الصبر الذى من أجل الله ، لنحب صبر المسيح ، ونبادله صبره من اجلنا بصبرنا من اجله . لنقدم له صبر الروح وصبر الجسد .

مؤمنين فعلا ان لنا قيامة من الموت بالروح والجسد ، ننال فيها مجازاة صبرنا .

* * *